جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

محاضرات في الكتاب القديم

(البيان والتبيين للجاحظ)

المرحلة الثالثة

إعداد

د. صالح محمد عبدالله العبيدي

١٤٤٢ هـ
٢٠٢١ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحاضرة الأولى

عنوان المحاضرة: (موجز تعريفي عن الجاحظ وكتابه البيان والتبيين)

نسـبه:

هو أبو عمرو عثمان بن بحر بن محبوب الكناني البصري (١٥٩هـ – ٢٥٥هـ)، الشهير بالجاحظ ، لبروز واضح في عينيه ، وكان يُقال له أيضا الحَدَقي لذلك .

نشأته العلمية وشيوخه:

ولد بالبصرة سنة ١٥٩ هجرية في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، ونشأ يتيما في حجر أمه، حيث توفي أبوه وهو صغير . وعاش في صباه حياة بائسة، إذ ابتُلي باليتم والفقر ودمامة الخِلقة، كان يبيع الخبز والسمك في سوق البصرة، ولم يكن ذلك يمنعه من التردد إلى حِلق العلم في مساجد البصرة وكتاتيبها، ومجالس علمائها وأدبائها ، فخالط العلماء والرواة ونهل من معينهم ، وكان مميزاً في قوة الحفظ. وكان الجاحظ منهوم علم لا يشبع، ومنهوم عقل لا يرضى إلا بما يقبله عقله بالحجج القوية البالغة، ولما كانت أرض العراق حاضرة الدنيا في زمانه، فقد كان أكثر من يُشار إليهم بالبنان يسكنونها أو يفدون إليها ، فكان الجاحظ محظوظا من هذا الوجه، حيث تهيَّا له من الشيوخ أئمة في شتى الفنون ، ومن أبرز هؤلاء الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري في علوم العربية وآدابها، والأخفش في علم النحو والتصريف، وأخذ عن القاضي أبي يوسف وتبحّرَ في علم الكلام على يد أبى إسحق النظام وثمامة بن أشرس ، وكان يأتي مِربد البصرة فيأخذ اللغة مشافهة من الأعراب. وكان مع ذلك يناقش حُنَين بن إسحاق وسَلمويه فيتعرَّف على الثقافة اليونانية، ويقرأ لابن المقفع فيتصل بالثقافة الفارسية، بل وكان يستأجر دكاكين الوارقين ويبيت فيها ليقرأ كلّ ما فيها من كتب العربية والمترجمة ، فيجمع بذلك كل الثقافات السائدة في عصره؛ من عربية وفارسية ويونانية وهندية أيضا.

قال أبو هفان : «ثلاثة لم أرَ قط ولا سمعتُ أحب إليهم من الكتب والعلوم :الجاحظ والفتح

بن خاقان وإسماعيل بن إسحاق القاضي؛ فأما الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويثبُت فيها للنظر.

شخصيته:

كان الجاحظ ذا شخصية اجتماعية فضلا عن علمه وثقافته الموسوعية يحب مخالطة الناس والتجول في الأسواق لمعرفة الطباع والأحوال عن قرب. وكان مطبوعا على الظرف والدعابة متميزا بخطابه الساخر، وربما حدث معه أمور غريبة ؛ فقد قال : نسيت كنيتى ثلاثة أيام، فأتيت أهلي، فقلت : بمن أكنى ؟ فقالوا : بأبي عثمان.

ومن شعره:

يَطِيبُ العَيشُ أَن تَلقَى حَكِيمًا غَدَاةَ العِلمِ وَالظَّنِّ المُصِيبِ
فَيَكشِفُ عَنكَ حَيرَةَ كُلِّ جَهلٍ وَفَضلُ العِلمِ يَعرِفُهُ الأَدِيبُ
سِقَامُ الحِرصِ لَيسَ لَهُ شِفَاءٌ وَدَاءُ الجَهلِ لَيسَ لَهُ طَبِيبُ

معتقده:

تأثر الجاحظ بإمام المعتزلة في زمانه إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام تأثرا كبيرا ؛ فأخذ عنه طريقته، وتبنى الكثير من آرائه، بل وانفرد هو بآراءَ كلامية ، تلقَّفها طائفة ممن تتلمذوا عليه أو قرؤوا كتبه، وعرف أولئك بالجاحظية.

منهجه العلمي:

ولأن الجاحظ كان غزير العلم، مستوعبًا لثقافات عصره، فقد كانت مراجعه في كتبه تمتد لتشمل القرآن الكريم والحديث النبوي، والتوراة والإنجيل، وأقوال الحكماء والشعراء وعلوم اليونان، وأدب فارس وحكمة الهند، بالإضافة إلى تجاربه العلمية ومشاهداته وملاحظاته الخاصة.

فكانت كتبه دوائر معارف يتناول فيها بعض المعارف الطبيعية والفلسفية، وتحدث في سياسة الأفراد والأمم، والنزاع بين أهل الكلام وغيرهم من الطوائف الدينية، وربما تعرض إلى ما يتعلق بعلم الهيئة (الجغرافيا) والطب وعادات الأعراب وبعض مسائل الفقه ، هذا عدا ما امتلأت به تلك الكتب من شعر وفكاهة.

أسـلوبه الكتـابي:

والأسلوب أحد أبرز مميزات الجاحظ؛ فهو سهل واضح، فيه عذوبة وفكاهة واستطراد بلا ملل، وفيه موسوعية ونظر ثاقب، وإيمان بالعقل لا يتزعزع ، ويمكن أن يعرف على أنه أسلوب عقلاني علمي تمحيصي.

دعا الجاحظ من خلال ما كتب لتحرير الأسلوب من الجمود والصنعة السائدين قبله، فقرّب النثر من الحياة وحملّه همومها، فأصبحت اللغة مع الجاحظ تحمل نبض الحياة والناس وتعيش قضاياهم.

وإذا كان بعض المبدعين قد جاء إلى الحياة من الأدب، فإن الجاحظ قد جاء إلى الأدب من الحياة، كانت الحياة عنده أولاً وجاء الأدب ليعبر عن حقائق هذه الحياة، وجعل للأدب غايةً لا يفترق فيها الجانب الجمالي عن الجانب الاجتماعي، فأسهم بأن جعل الثقافة للجماهير حين قصدها وتوّجه إليها فيما يكتب.

وكان كما يقول الشاعر بدر شاكر السياب : " أول أديب عربي نزل إلى السوق فصوَّر لنا أحوال الشعب تصويراً ينبض بالصدق والحياة، بأسلوب حسبنا أن نقول فيه: أنه أسلوب الجاحظ، والذي كان بحق مدرسة في الأسلوب تخرج منها أدباء شباب وامتاز بأنه الأسلوب البسيط الذي يخفي تحته أفكاراً في تجدّدٍ دائم، أو تحفزُ على التجديد، وفي كثير من النقاط يمكن مقارنة الجاحظ مع فولتير. وكان الجاحظ في الأدب العربي القديم مثل (برنارد شو) في الأدب الانجليزي الحديث؛ كان الجاحظ جاداً وهو يضحك، مُتفلسفاً وهو يسخر، حيث عالج أخطر المشكلات بأسلوبه الساخر وخفة ظلّه المعروفة "

تصانيفه:

كان الجاحظ عالما موسوعيا، أخذ من كل علم بنصيب وافر، يعرف ذلك من قرأ له، قال الوزير ابن العميد : «كتب الجاحظ تعلم العقل أولا، والأدب ثانيا . ويعد الجاحظ من أغزر كتّاب العالم ؛ فقد كتب حوالي ٣٦٠ مؤلف ما بين كتاب في مجلدات ورسالة صغيرة، تدل على قوة ذهنه وجودة تصرفه . وقد طرق في تصانيفه موضوعات شتى؛ دينية، وأدبية، واجتماعيـة، ونفسـية، وسياسـية، وتاريخيـة، وجغرافيـة، وأخلاقيـة ، وغيرهـا.

فمن كتبه : كتاب «نظم القرآن»، وكتاب «التوحيد»، وكتاب «الوعيد»، وكتاب »الحجة والنبوة»، وكتاب «الرد على أصحاب الإلهام»، وكتاب «الرد على المشبهة»، وكتاب »الدمامة»، وكتاب «المحاسن والأضداد»، وكتاب «البخلاء»، وكتاب «النساء«، وكتاب «البرصان والعرجان»، وكتاب «البغال» ، وكتاب «ذم البخل»، وكتاب (التربيع والتدوير)، وكتاب »المعلمين»، وكتاب «البلدان. فضلا عن كتاب (الحيوان) و (البيان والتبيين).

مرضه ووفاته :

قال المبرد : دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل فقلت له كيف أنت فقال كيف يكون من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير ما حس به ونصفه الأخر منقرَس لو طار الذباب بقربه لألمه ، والآفة في جميع هذا أني قد جزت التسعين ثم أنشدنا:

أَترجُو أَن تَكُونَ وَأَنتَ شَيخٌ كَمَا قَد كُنتَ أَيَّامَ الشَّبَابِ

لَقَد كَذَّبتكَ نَفسُكَ لَيسَ ثَوبٌ دَرِيسٌ كَالجَدِيدِ مِنَ الثِّيَابِ

التعريف بالمصنَّف (البيان والتبيين):

شرح العنوان:

لما كان المركب يعرف بشرح مفرداته ؛ رأينا أن نشرح مفردات هذا العنوان ، لنقف على معناه بجلاء.

١- **فالبيان** ؛ من بانَ الشيء يَبينُ بَياناً اتضح فهو بَيِّنٌ، وكذلك أَبانَ الشيءُ فهو مُبينٌ .فالمراد به الدلالة وغيرِها مما يوضح به الشيءُ ، وكذلك الفهم وذكاء القلب مع اللِّسان اللَّسِن . يقال : فلان أبْيَنُ من فلان أي أفصح منه، وأوضح كلاما.

٢- **والتبيين** ؛ من تَبَيَّنَ الشيءُ إذا ظَهَرَ ، و التَّبْيينُ: الإيضاح والوُضوحُ . وفي المثل : قد بَيَّنَ الصبح لذي عينين.

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة: (الغرض من الكتاب ، ومنهجه ، ومحتواه ، وقيمته العلمية)

أولاً- ما الغرض من تصنيف هذا الكتاب ؟:

برتكز الجاحظ على قوله تبارك وتعالى (وَمَا أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بلِسَانِ قَومِهِ لِيُبَيّنَ لَهُم) [إبراهيم:٤]؛ ليكشف حقيقة تسمية الكتاب بهذا العنوان فيقول: " لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهيم، وكلَّما كان اللسان أبيَنَ، كان أحمدَ، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة، كان أحمد. والمُفهِم لك والمُتفهِم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهِم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم" .

واضح من أوائل الكتاب أنه مصنف لشخص يجله المصنف، فهو في أكثر من مقام يعترض كلامه بعبارة (أبقاك الله ، وربما خاطبه بضمير الجمع ، كقوله : «...والذي نحن ذاكروه من ذلك في هذا الموضع قليل من كثير مما ذكرناه في كتاب العرجان، فإن أردتموه فهو هناك موجودٌ، إن شاء الله تعالى.

ولم نقف على تسمية الشخص المراد في الكتاب ، لكن قد نقلت كتب التراجم عن الجاحظ قوله : « أهديت إلى محمد بن عبد الملك كتاب «الحيوان»، فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب «البيان والتبيين» إلى أحمد بن أبي دؤاد، فأعطاني كذلك، وأهديت كتاب «الزرع والنخل» إلى ابراهيم الصولي، فأعطاني مثلها فرجعت إلى البصرة ومعي ضيعة، لا تحتاج إلى تحديد ولا إلى تسميد. وهؤلاء الثلاثة الذين سمّاهم كلهم وزراء ، والمعني منهم بهذا الكتاب ابن أبي دؤاد.

ثانيا- أسلوب الكتاب ومنهجه:

تميز اسلوب الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)) بمزايا اسلوبية من أهمها:

١- كثرة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والاستشهاد بكثير من الشعر العربي القديم لان القرآن الكريم والشعر يمثلان معينا عذبا للعربية.

٢ - العناية الكبيرة بانتقاء الألفاظ وبناء الجمل ، وتناسق الفقرات.

٣- الاستطراد في الحديث . فهو ينتقل بالقارئ من باب إلى باب ومن فكرة إلى أخرى. ولعله يقصد إلى هذا قصدا دفعا للملل الذي يداخل القارئ حين يطول عليه الحديث في موضوع ما .

٤- الحرص على تقريب المعاني ووضوح الأسلوب والابتعاد قدر الامكان عن المعاظلة والغموض.

٥- تميز اسلوبه بالترادف والتكرار احيانا ، فكان يقدم بعض الافكار في أكثر من صيغة وأكثر من جملة حرصا على اتساع دائرة التلقي .

٦- استعمال الأسلوب الساخر في بعض الاحيان تجنبا للرتابة والملل.

ويعد كتاب البيان والتبيين من أواخر مؤلفات الجاحظ ، فقد ألف كتاب الحيوان وعمره اثنان وثمانون عاما، ونراه هنا يحيل عليه ، فهو من أواخر تصانيفه، بلا ريب، وهو كتاب في الأدب يتناول فيه موضوعات متفرقة مثل الحديث عن الأنبياء والخطباء والفقهاء والأمراء والحديث عن البلاغة واللسان والصمت والشعر والخطب والرد على الشعوبية واللحن والحمقى والمجانين ووصايا الأعراب ونوادرهم والزهد، وغير ذلك.

ولقد عُرفَ عن أسلوبه الاستطراد ، فالجاحظ يتناول موضوعًا ثم يتركه ليتناول غيره، ثم يعود للموضوع الأول، وقد يتركه ثانية قبل أن يستوفيه وينتقل إلى موضوع جديد، وهكذا؛ فكل فصل من الفصول من »البيان والتبيين« - كما يقول أحمد أمين - : (فوضى لا تضبط، واستطراد لا يحد).

وتأثر بطريقة الجاحظ في التأليف مجموعة من كتاب العربية فالمبرد تأثر به في تأليفه، والكتب التي ألفت بعد كـ«عيون الأخبار» و«العقد الفريد» فيها شيء من روح الجاحظ، وإن دخلها شيء من الترتيب والتبويب.

والذي يظهر أن الاستطراد في المواضيع الجانبية ، لم يكن ضربا من الاعتباط والعبثية ، وإنما كان سياسة للجاحظ في كتبه ، يدلنا على ذلك قوله - لما اعتذر عن استطراده في ذكر قصة لقمان وابنه لقيم - : «...وهذا الباب يقع في كتاب الانسان من كتاب «الحيوان» وفي فضل ما بين الذكر والأنثى تاما، وليس هذا الباب مما يدخل في باب «البيان والتبيين»، ولكن قد يجرى السبب، فيجري معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارىء الكتاب،

لأن خروجه من الباب إذا طال لبعض العلم، كان ذلك أروح على قلبه وأزيد في نشاطه – إن شاء الله.

وقد جزأ المصنف كتابه إلى ثلاثة أجزاء ، مقسمة إلى صدر وصلب ، وربما قطع الجزء الواحد بأكثر من بسملة ، ولعل ذلك لأنه كان يؤلفه على مراحل ، فكلما استأنف العمل فيه ، ابتدأ بالبسملة تبركا واستعانة.

وختم بقوله : «وهذا –أبقاك الله– آخر ما ألفناه من كتاب «البيان والتبيين«، ونرجو أن نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته، وأردناه من تأليفه، فإن وقع على الحال التي أردنا، وبالمنزلة التي أملنا؛ فذلك بتوفيق الله وحسن تأييده، وإن وقع بخلافها، فما قصَّرنا في الاجتهاد، ولكن حُرمنا التَّوفيق . والله تعالى أعلم.

ثالثا– محتوى الكتاب:

لاحظ أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ) عسر تحصيل المباحث اللغوية والأدبية من كتاب «البيان والتبيين»، وقرَّر ذلك في كتابه «صناعتا النظم والنثر» قائلا : «إن أنواع البيان والبلاغة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة، لا توجد إلا بالتأمل . وبناء على هذا الكلام يمكننا أن نقسم الكتاب إلى بابين كبيرين؛ هما :

١– باب الكلام : ويندرج تحته مجموعة فصول تتعلق باللسان وما يتصل به من مخارج الحروف واختلاف طرق الأداء واللحن ، والفصاحة.

٢– وباب البلاغة: ويضم فصولا تشتمل على تعريفها ، وذكر ما يتعلق بها ، وذكر الخطبة وآدابها وشروطها وأصحابها ، وعلومها.

على أن تضاعيف السطور لا تخلو من مباحث ، لو رحنا نستقصيها ، لجعلناها في أبواب مفردة كثيرة، كمثل تراجم الأعلام من الشعراء والخطباء وغيرهم، وذكر معتقدات بعضهم كبشار بن برد، وعقد الموازنات بين الشعراء والخطباء ، وإيراد الانتقادات على جامعي اللغة وأئمتها، في سلسلة يطول ذكرها .

القيمة العلمية للكتاب:

أجمع جل من ترجموا للجاحظ على أن كتابيه «الحيوان» و«البيان والتبيين «هما أجل

تصانيفه، وأوسعها فائدة، وأوسعها انتشارا . قال ابن خلكان : «ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب «الحيوان» فلقد جمع كل غريبة ، وكذلك كتاب »البيان والتبيين.

والجاحظ نفسه يثني على كتابه هذا، ويحث على مدارسته؛ يقول: ولما قرأ المأمون كتبي في الإمامة، فوجدها على ما أمر به، وصرت إليه، وقد كان أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها، قال لي : قد كان بعض من نرتضي عقله ونصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة، فقلت قد تربي الصفة على العيان، فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة، فلما فليتها أربى الفَلي على العيان، كما أربى العيان على الصفة . وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه، ولا يفتقر إلى المحتجين عنه، قد جمع استقصاء المعاني، واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل، والمخرج السهل، فهو سوقي ملوكي، وعامي خاصي.

المحاضرة الثالثة

عنوان المحاضرة: (آفات اللسان، وعيوب التعبير، والاستعاذة بالله منها)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ- رحِمه الله:

اللهمّ إنَّا نَعوذُ بكَ من فِتنةِ القولِ كما نعوذُ بكَ من فتنةِ العملِ، ونعوذُ بكَ من التكلُّفِ لِمَا لا نُحِسنُ كما نعوذُ بك من العُجْبِ بما نُحْسِنُ ، ونعوذُ بكَ من السَّلاطةِ والهَذَرِ، كما نعوذُ بكَ من العِيّ والحَصَر. وقديماً ما تَعَوَّذُوا بالله من شرّهما وتضرَّعوا إلى الله في السَّلامةِ منهما .

وقد قالَ النَّمرُ بن تولب:

أعِـــذْنِي ربِّ مـــن حصَـــرٍ وعِـــيّ ومــن نَفْــسٍ أعالجُهَــا عِلاجَــا

وقال الهُذَليّ:

ولا حَصِـــــــــرٌ بخُطَبَتِـــــــــهِ إذا مـــــا عَـــــزَّتِ الخُطَـــــبُ

أولا- شرح النص:

يستعين الجاحظ ويلوذ ويلجأ الى الله – سبحانه وتعالى – كي ينجيه من فتنتين:

الأولى: فتنة القول ، وهي فتنة تحصل بسبب إعجاب المرء بفصاحته وإجادته لفنون القول مما يدفعه الى التعالي على غيره والاغترار بقدرته وتفوقه. فضلا عن ما يحصل من اللسان من أقوال قد تكون جارحة ومحرمة توقع صاحبها في التهلكة إذا لم يحسن ضبط أقواله والسيطرة عليها. فمن فتن القول أن لا يكون مخلصا فيه، أو أن يكون للرياء والسمعة كي يقال : فلان فصيح، أو فلان عالم، وهو يريد ذلك.

الثانية: فتنة العمل ، كذلك العمل له فتنة ، ومن فتنته الإعجاب به، فبعض الناس يعمل عملا فلا يزال هذا العمل بين عينيه متعاظما له مفتخرا به يحب الحديث عنه واعلانه بين الناس وربما منَّ على غيره به ورأى أنّه بعمله هذا يعلو على غيره.

ثمّ يستعيذ من المبالغة باظهار ما لا يحسنه من الأمور وكأنه يحسنه ، والاستعاذة كذلك من العجب والتباهي بما يحسنه من الأشياء.والاستعاذة من حدة اللسان ، والكلام بلا معنى ،

والعجز عن الكلام ، وعدم القدرة على النطق. فهذه آفات اللسان وكان الناس يستعيذون من شرّها قديما ، ويدعون الله أن لا تصيبهم، وأن يسلموا منها.

ويستشهد الجاحظ بقول الشاعر (النّمر بن تولب) الذي يستعيذ هو الآخر من هذه الآفات اللسانية (الحصر والعي) ومن نفس يصعب عليها القول والتعبير بشكل طبيعي.

وكذلك يذكر قول الشاعر (الهذلي) الذي يؤكد بأنه خلو الممدوح من هذه الآفات ، وينفي أن يكون يعاني من الحصر في الخطبة ، في وقت تقلّ فيه الخطب.

ثانيا- المعاني اللغوية للكلمات:

١- **نعوذ:** عاذ بالله إلتجىء إليه ، واعتصم به من شرّ الشيطان الرجيم. وعاذ به لزمه.

٢- **فتنة:** من الاختبار والابتلاء ، والإعجاب والوله ، والميلان ، والمشكل الصعب.

٣- **التكلف:** المبالغة في الشيء أو ألزم نفسه المشقة ، أوجب عليه ما لا يحب.

٤- **العجب:** الزهو والكبْر، والإعجاب بالنفس.

٥- **السلاطة:** من (سلط) رجل طويل اللسان سليط – كلماته لاذعة ولسانه حاد.

٦- **الهذر:** هذر الخطيب في كلامه تكلّم بلا معنى ، وبما لا ينبغي كأنه هذى وكثر الخطأ والباطل في كلامه.

٧- **العِـي:** العجز عن التعبير اللفظي بما لا يفيد المعنى المقصود ، والعجز عن أداء المعنى المراد.

٨- **الحصر:** أي حصر صدره، ولم يقدر على الكلام ، وعجز عن النطق.

٩- **عزّتْ:** قلت وامتنعت.

ثالثاً- الأساليب اللغوية والبلاغة:

١- أسلوب النداء في قوله: (اللهمّ إنَّا نَعوذُ بكَ...) والتقدير: يا الله.

٢- أسلوب الأمر في قوله: (أعِذْنِي ربِّ ...) وقد خرج الى الدعاء.

٣- أسلوب النفي في قوله: (ولا حَصِرٌ بخُطَبتِهِ) وأفاد هنا النفي المطلق عن حصول الحصر.

٤- تقديم ظرف الزمان (قديماً) على الفعل وملحقاته لأنه المقصود في التأكيد على زمنية الاستعاذة أنها كانت في الماضي كذلك مثلما هي في الحاضر والمستقبل مستمرة على الدوام ما دامت هذه الآفات اللسانية موجودة.

رابعا- الإعراب

١- **اللهم:**الأصل فيه (يا الله) وهو منادى محذوف منه أداة النداء(يا) مبني على الضم في محل نصب، والميم المشددة عوض عن ياء النداء المحذوفة.

٢- **كما:** الكاف حرف تشبيه ، و(ما) مصدرية ، والمصدر المؤول (كاستعاذتنا) في محل جر بحرف الجر.

٣- **لما:** اللام حرف جر، و(ما) موصولة بمعنى الذي في محل جر.

٤- **وقديماً:** ظرف زمان منصوب بتنوين الفتح.

٥- **أعذني:** فعل أمر ، والفاعل ضمير متصل ، والياء مفعول به.

٦- **نعوذ:** فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر (إنّا).

٧- **بما:** الباء حرف جر، وما موصولة بمعنى الذي.

٨- **ربّ:** منادى مبني على الضم في محل نصب، والضم مقدر على الياء المحذوفة اختصارا والتعويض عنها بالكسرة المناسبة لها، والتقدير(يارب).

٩- **أعالجها:** فعل وفاعل ومفعول به.

١٠- **علاجا:** مفعول مطلق ، وجملة (أعالجها علاجا) في محل جر صفة للنفس.

١١- **ولا حصر بخطبته:** لا ، نافية غير عاملة (حصر) مبتدأ مرفوع بالضمة ، (بخطبته) جار ومجرور وشبه الجملة في محل رفع خبر لـ(حصر).

خامساً: تقطيع الأبيات الشعرية:

-أعِـــذْنِي ربِّ مـــن حصَـــرٍ وعِـــيّ ومــن نَفْــسٍ أعالجُهَــا عِلاجَــا

أعِذْنِيْ رَبْ / بِ مِنْ حَصِرِنْ / وَعِيينْ وَمِنْ نَفْسِنْ / أُعَالِجُهَاْ / عِلَاْجَاْ

مُفَــاعَلْتُنْ / مُفَــاعَلَتُنْ / مُفَاعِــلْ مُفَــاعَلْتُنْ / مُفَــاعَلَتُنْ / مُفَاعَــلْ
معصوبة / تامة / مقطوفة معصوبة / تامة / مقطوفة

- ولا حَصِـــــــــرٌ بخُطَبتِـــــــــهِ إذا مـــــا عَـــــزَّتِ الخُطَـــــبُ

وَلَاْ حَصِرُن / بِخُطْبَتِهِي إِذَاْ مَاْ عَزْ / زَتِ لْخُطَبُو
مُفَاعَلَتُنْ / مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلْتُنْ / مُفَاعَلَتُنْ
تامة / تامة معصوبة / تامة

ملاحظات:

١-البيتان الشعريان على البحر الوافر وتفعيلاته هي (مفاعلتن) مكررة ثلاث مرات في كل شطر.

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ورمز التفعيلة التامة العروضي هو: -- O--- O

٢-**العصب:** زحاف يدخل على البحر الوافر، ويقوم على تسكين الخامس المتحرك ، فتتحول (مُفَاعَلَتُنْ) الى (مُفَاعَلْتُنْ).

٣-**القطف:** علة تدخل على البحر الوافر مركبة من العصب والحذف ، حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة ، وتسكين ما قبله. فتتحول التفعيلة من (مُفَاعَلَتُنْ) الى (مَفَاعلْ).

سادسا- ترجمة الأعلام:

١- النَّمْر بن تَولَب

وقال الأَصمعي: النَّمْر بن تَولَب من المخضرمين الذين أَدركوا الجاهلية والإسلام، وكان أَبو عمرو بن العلاء يسميه الكَيِّس، وكان شاعر الرباب في الجاهلية، ولا مدح أَحدًا ولا هجا، وأَدرك الإِسلام وهو كبير، وكان فصيحًا جوادًا.

وقال الْمَرْزَبَانِيُّ: كان شاعرًا فصيحًا، وفَد على النّبي صلّى الله عليه وآله وسلم، وكتب له النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم كتابًا، ونزل البصرة بعد ذلك، وكان أبو عمرو ابن العلاء

يسميه الكيِّس لَجوْدَة شعره، وكثرة أمثاله، وكان جوادًا، وعُمِّر طويلًا حتى أنكر عقله، فيقال: إنه عمر مائتي سنة.

٢- أبو العِيال الهذلي

أبو العيال بن أبي عتبة الهذلي وقيل بن أبي عنترة بن خفاجة بن سعد بن هذيل. شاعر فصيح مقدم من شعراء هذيل ، من بني ضباعة ، وهو مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. أسلم فيمن أسلم من هذيل، وعمّر إلى خلافة معاوية، وله شعر مطبوع في ديوان الهذليين.

المحاضرة الرابعة

عنوان المحاضرة: (آفات اللسان والمفاضلة بينها، وموقف الناس منها)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

وليس ، حَفِظكَ اللهُ ، مضرَّةُ سَلاطةِ اللسانِ عندَ المُنازَعةِ ، وسَقَطَاتِ الخَطَلِ يومَ إطَالةِ الخُطْبَةِ ، بِأعْظَمَ مِمّا يَحْدُثُ عنِ العيّ مِنِ اخْتلالِ الحُجَّةِ ، وَعَنِ الحَصَرِ مِنْ فَوْتِ دَرَكِ الحَاجَةِ . والنَّاسُ لا يُعيّرونَ الخُرسَ ، ولا يلومونَ مَن اسْتَوْلى على بيانِهِ العَجْزُ . وهم يذمُّون الحَصِرَ ، ويؤنِّبون العَيِيَّ، فإنْ يتكلّفا مع ذلك مقاماتِ الخُطباءِ، وتعاطَيَا مناظرةَ البُلغاءِ ، تضاعفَ عليهما الذمّ وترادَفَ عليهما التأنيب. ومماتنةُ العَيّ الحصِرِ للبليغِ المِصقَع ، في سبيل مماتَنَة المنقطع المفحَم للشاعر المفلق، وأحدُهما ألـْومُ من صاحبه ، والألسنةُ إليه أسرع.

أولا– شرح النص:

يشير الجاحظ الى أنّ المضرة الناتجة عن حدة اللسان ، والكلام الفاسد الذي يكثر فيه الخطأ بسبب الإطالة في الخطبة ليستْ أعظم من المضرة الناتجة عن العي الذي يضعف الحجة ، والحصر الذي يعوق الحصول على الحاجة من القول بسبب صعوبة الكلام أو امتناعه، فكلاهما مضرة تصيب اللسان وتعوق صاحبه عن التواصل مع الناس. ويشير كذلك بأنّ الناس لا يُعيّرون الذين لا يستطيعون الكلام والعاجزين عنه بسبب عاهة لسانية ، ولكنهم يذمون ويلومون من ليس عنده عاهة مرضية تمنعه عن أداء الكلام وتوصيل المعنى البليغ ويعجز عن الكلام ولا يستطيع التعبير بسبب العي والاحتصار.

وهولاء الذين لا يستطيعون الكلام بسبب الحصر والعي إذا تكلفوا مقاما غير مقامهم مثل الخطابة ومناظرة الفصحاء فإن اللوم والتأنيب يتاضعف عليهم لسوء تصرفهم كونهم وضعوا أنفسهم في موقف محرج لا يتناسب مع وضعهم النفسي والتعبيري. كذلك لا يجوز مبارزة ومواجهة الذي يعاني من الحصر والعي للفصيح الذي يتقن فنون القول ، كما لا يجوز مواجهة الرجل العاجز عن الحجة المفحم للشاعر المقتدر شعريا والقادر على الاتيان بما هو

عجيب من الشعر. لأن الذي يفعل ذلك يناله اللوم والتأنيب وتُسرع الألسنة في النيل منه لسوء فعله وتصرفه في تحديه لمن يفوقه قدرة وصفة.

ثانيا- المعاني اللغوية للكلمات:

١- **المنازعة:** الخصومة ، والخلاف والجدل.

٢- **الخطل:** الحمق ، والكلام الخطل هو الفاسد والمضطرب ، والكثير الفاحش بلا فائدة.

٣- **الحجة:** البرهان ، والدليل ، والبينة.

٤- **البلغاء:** البليغ ، فصح لسانة ، وحسن بيانه، وبلغ هدفه وغايته.

٥- **مماتنة:** من (مَتَنَ) مصدر (ماتن) وهي المعارضة ، والمبارزة والمماطلة والمغالبة.

٦- **المِصْقَع:** البليغ الذي يتفنن في مذاهب القول.

٧- **المنقطع** – المفحم: الرجل العاجز عن الحجة.

٨- **الشاعر المُفْلِق:** أفلق الشاعر، أي أتى بما يعجب في شعره.

ثالثا- الإعراب

١- **مضرة:** اسم ليس مرفوع بالضمة،

٢- **بأعظم:** والباء حرف جر زائد ، و(أعظم) مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف ، وعلة المنع واحدة لأنه اسم تفضيل على وزن (أفعل). وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل نصب خبر ليس.

٣- **حفظك الله:** جملة اعتراضية دعائية لا محل لها من الإعراب.

٤- **مما:** معناها (من الذي) موصولة جار ومجرور وجملة (يحدث...الحاجة) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

٥- **فإنْ يتكلفا... تضاعف:** إنْ ، شرطية جازمة (يتكلفا) فعل الشرط مجزوم بحذف النون. (تضاعف) جواب الشرط فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم.

٦- **مماتنة .... في سبيل:** مبتدأ مرفوع بالضمة ، (في سبيل) بمعنى مشابه أو مماثل ، جار ومجرور في محل رفع خبر للمبتدأ مماتنة.

رابعا: الأساليب والبلاغة:

١- أسلوب النفي في قوله: (وليس ، حَفِظكَ اللَّهُ ، مضرَّةُ...) بدلالة (ليس) التي هي فعل ماضٍ ناسخ، جامد من أخوات كان يرفع الاسم وينصب الخبر، يدلُّ على نفي الحال لأنها تأتي بمعنى (لا و ما) وهي فعل لا يتصرَّف، وزنه فَعِلَ، ثم التُزِم تخفيفه بسكون عينه.

٢- أسلوب النفي بدليل قوله: (والنَّاسُ لا يُعيّرونَ الخُــرسَ ، ولا يلومونَ...) وأداة النفي هنا (لا) وهي نافية غير عاملة.

٣- أسلوب الشرط بدليل قوله: (فإنْ يتكلّفا- تعاطَيَا... تضاعفَ – ترادَفَ) وحرف الشرط الجازم هنا (إنْ) وهي تجزم فعلين الأول فعل الشرط (يتكلّفا – تعاطَيَا) والثاني جواب الشرط (تضاعفَ – ترادَفَ) وقد جاء جواب الشرط فعلا ماضيا وهذا لا يجوز إلا في حالة واحدة إذا كان الماضي بمعنى المضارع أي تضاعف وترادف الآن.

٤- تقديم الجار والمجرور(إليه) على الخبر(أسرعُ) في قوله: (والألسنةُ إليه أسْرعُ) لأن (أَسْرَعُ) اسم تفضيل من سرُعَ ، أي أكثر سرعة وإقداما، وسبب التقديم لأن الجار والمجرور يشيران الى الشخص المعني باللوم وحديث اللسان عنه فهو من باب الاختصاص أولى بالتقديم من اسم التفضيل.

المحاضرة الخامسة

عنوان المحاضرة: (اختلاف السبل في آفات اللسان ، والألفاظ بين الأصل والاستعمال)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

ولـيس اللَّجـلاج والتّمتـام ، والألثـغ والفأفـاء ، وذو الحُبسَـة والحُكلـــة والرُّتَّـةِ وذو اللَّفَـفِ والعجلة ، في سبيل الحَصِرِ في خطبتـه ، والعيـيّ فـــي مناضلة خصومه ، كما أن سبيلَ المُفْحَم عند الشعراء ، والبكئ عند الخطباء ، خلافُ سبيل المسْهَب الثَّرثار ، والخَطِل المكثار.

وقد يستخفُّ النَّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرُها أحقُّ بذلك منها . ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكُر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدْقع والعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السَّغَب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة . وكذلك ذِكر المطر ؛ لأنّك لا تجد القـرآنَ يلفظِ بـه إلاّ فـي موضـع الانتقام . والعامّة وأكثرُ الخاصّة لا يَفصِلون بين ذِكر المطر وبين ذكر الغَيث . ولفظُ القرآن الذي عليه نَزَلَ أنّه إذا ذكر الأبصـار لم يقُل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرَضين . ألا تراه لا يجمع الأرض أَرَضين ، ولا السمعَ أسماعا . والجاري على أفواه العامةِ غيرُ ذلك ، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقُّ بالذكر وأولى بالاستعمال.

والعامّة ربّما استخفت أقلَّ اللغتين وأضعفَهما ، وتستعمل ما هو أقلُّه في أصل اللغة استعمالاً وتدَعُ ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صِرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجودُ منه ، وكذلك المثل السائر .

أولا– شرح النص:

ينفي الجاحظ أن يكون الذي يعاني من هذه الآفات اللسانية المتمثلة بثقل اللسان وعدم القدرة على الإفصاح أو السرعة في الكلام أو اللثغة بالنطق بحرف آخر مماثل أو مشابه لمن يعاني الحصر والعي في خطبته أو في مناظرة خصومه. كذلك لا يتماثل ولا يتشابه من كان منقطع الحجة خاسرا من الشعراء أو كثير البكاء من الخطباء مع من يطيل كلامه ويكثر منه فيكون الخطأ والفساد في كلامه كثيرا.

ثمّ ينتقل الجاحظ الى موقف الناس من اللغة واستعمال ألفاظها بخلاف ما وضعت له بسبب أنهم استحسنوا هذا اللفظ لهذا المعنى عرفا وهو ليس له، وضرب لذلك أمثلة نحو:

١- لفظة الجوع لم تستعمل في القرآن الكريم إلا في موضع العقاب أو في موضع الجوع الشديد او العجز الظاهر. بخلاف الناس في عرف استعمالهم للغة فإنهم يستعملون الجوع في موضع السلامة والقدرة ولا يستعملون السغب مكانه وهو أولى بالاستعمال هنا لأن استعمال الجوع يكون للعقوبة وليس للسلامة منها.

٢- لفظ المطر استعمل في القرآن للعقوبة والانتقام ، والناس يستعملونه بمعنى الخير والمنفعة والبركة وكان عليهم استعمال الغيث بهذا المعنى لا المطر.

٣- ثم إنه وردت ألفاظ في القرآن من حيث الإفراد والجمع نحو: (بصر) جمع على أبصار ولكن (سمع) لم يجمع على أسماع ، ولا جمعت الأرض أرضين ولكن العامة من الناس يستعملون هذه الجموع بخلاف ما استعملها القرآن الكريم استحسانا منهم واستسهالا ودون معرفة بالألفاظ وطبيعة استعمالاتها.

والمعروف أن العامة من الناس يطلبون السهولة في الكلام والخفة في اللفظ ولا يهتمون كثيرا لما هو كثير الاستعمال في اللغة وأظهر بل قد يستعملون ما هو أقل استعمالا في اللغة كما أن هناك أبياتا شعرية قد شاعت من حيث الاستعمال والتدوال بين الناس وصارت أمثالا سائرة في حين أن هناك ما هو أجود منها وأحسن ولكنه لم ينتشر ولم يتداول.

ثانيا- المعاني اللغوية للكلمات:

١- **اللجلاج:** ثقيل اللسان يتردد في كلامه

٢- **التمتام:** الذي فيه تمتمة ، وهو الذي يتردد في التاء.

٣- **الألثغ:** اللثغة أن تعدل عن الحرف الى حرف غيره، كأن يلفظ السين ثاء والراء غيناً.

٤- **الفأفاء:** الذي يتعتع أو يتردد في الفاء ، ويقال فيه فأفأة.

٥- **الحُبسة:** احتبس في الكلام توقف، احتبس لسانه ثُقُلَ فلم يُبنْ.

٦- **الحُكْلة:** العجمة لا يبين صاحبها الكلام.

٧- **الرُّتة:** رُتّة (مفرد) عجمة في اللسان مثل اللثغة ، تردد في النطق.

٨- **اللّفف:** حالة مرضية تؤدي الى بطء الكلام مع التردد في اللفظ.

٩- **العجلة:** من السرعة في الشيء بلا تأني.

١٠- **السّغب:** الجوع أو المجاعة.

١١- **البكيء:** كثير البكاء في كلامه.

١٢- **المسهب الثرثار:** أي كثير الكلام والأطناب والإطالة والتوسع في الكلام.

١٣- **المدقع:** أي الشديد ، ويقال فقر مدقع أي شديد.

ثالثا- الإعراب

١- **اللجلاج:** اسم ليس مرفوع بالضمة.

٢- **في سبيل:** بمعنى مشابه ومماثل خبر ليس منصوب بالفتحة.

٣- **أنّ سبيل**..خلافُ: أن واسمها منصوب وخبرها مرفوع.

٤- **ألا:** استفتاحية أو تنبيهية.

٥- **تبارك وتعالى:** جملة اعتراضية لا محل لها من الإعراب.

٦- **ترى** ، فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الألف للتعذر يأخذ مفعولين الجملة الإسمية (أن الله ..لم يذكر الجوع) في محل نصب مفعول به أول. والجملة الفعلية (لم يذكر) في محل نصب مفعول به ثان لترى.

٧- **مواضع الجوع:** حذفت مواضع لوجود ما يدل عليها وهي مفعول به للفعل(يذكر).

٨- **إلا:** أداة استثناء والاستثناء منقطع وحذف المستثنى منه (مواضع)

٩- **لا يذكرون:** لا ،نافية. يذكرون جملة فعلية في محل رفع خبر للناس.

١٠- **الذي:** اسم موصول في محل رفع صفة.

١١- **الهاء في تراه:** مفعول به أول. والجملة الفعلية (يجمع) مفعول به ثان.

١٢- **أقلَّ:** مفعول به اسم تفضيل.

١٣- **استعمالا:** مفعول مطلق منصوب بالفتحة.

١٤- **ما هو أحق:** ما بمعنى الذي

١٥- **وتستعمل ما هو:** ما بمعنى الذي في محل نصب مفعول به.

١٦- **هو أظهر:** مبتدأ وخبر.

١٧- **ما هو أجود:** ما، بمعنى الذي في محل رفع فاعل.

رابعا: الأساليب والبلاغة:

١- اسلوب النفي بـ (ليس) بدليل قوله(وليس اللَّجلاج والتّمتام) وليس هنا تنفي المشابهة والمماثلة بين شيئين مختلفين.

٢- أسلوب العرض وفيه معنى التنبيه والتذكير في قوله: (ألا ترى..) حتى يبين لهم ما فعلوه بمخالفتهم للقرآن الكريم في استعماله للألفاظ ومعانيها.

٣- أسلوب الاستثناء في قوله: (لم يذكُر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب) حيث المستثنى منه (مواضع) الجوع محذوف. فهناك استثناء لموضع العقاب.

٤- أسلوب النفي بـ(لا) غير العاملة بدليل قوله: (والناس لا يذكرون السَّغَب).

٥- أسلوب الشرط بـ(إذا) في قوله: (أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقُل الأسماع).

٦- أسلوب النهي والجزم بـ (لم) في قوله: (قد سار ولم يسر ما هو أجودُ منه).

المحاضرة السادسة

عنوان المحاضرة: (ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

وهي أربعة أحرف: القاف ، والسين ، واللام ، والراء .

فاللُّثغة التي تعرِض للسّين تكون ثاء ، كقولهم لأبي يَكسوم: أبي يَكثوم ؛ وكما يقولون: بُثْرَةٌ ، وبِثْم اللهِ ، إذا أرادوا بُسْرة ، وبسم الله .

والثانية اللثْغة التي تعرِض للقاف ؛ فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول: قلت له ، قال: طُلْت له ؛ وإذا أراد أن يقول: قال لي ، قال: طال لي .

وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن مِن أهلها مَن يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله: اعتَلَلْتُ: اعتيْيت ، وبدل جَمَل: جَمَيْ . وآخرون يجعلون اللامَ كافاً ، كالذي عرض لعُمَر أخي هلال ، فإنه كان إذا أراد أن يقول: ما العلة في هذا ، قال: مَكْعِكّة في هذا .

وأمّا اللُّثغة التي تقع في الراء فإنَّ عددَها يُضعِف على عدد لثغة اللام ؛ لأنّ الذي يعرِض لها أربعةُ أحرف: فمنهم مَن إذا أراد أن يقول: عمرو، قال: عَمْي ، فيجعل الراء ياءً . ومنهم من إذا أراد أن يقول: عمرو، قال: عَمْغ ، فيجعل الراء . غيناً ومنهم من إذا أراد أن يقول: عمرو ، قال: عَمْذ ، فيجعل الراء ذالاً . وأنشد قول الشاعر:

واستبدَّت مَرَّةً واحدة إنما العاجزُ مَن لا يستبدّ

قال:

واستبدَّت مَذّة واحدة إنما العاجز من لا يستبدّ

أولا– شرح النص:

يشتمل هذا النص على أمور منها:

١– الحديث عن اللثغة التي هي نوع من الاعتلال اللفظي بسبب ثقل اللسان أو عدوله في النطق بالصوت إلى مخرج صوت آخر.

٢– إنّ هذه اللثغة تكون في أربعة أحرف هي: (القاف ، والسين ، واللام ، والراء).

فالسين تقلب الى الثاء ، والقاف تقلب الى الطاء ، واللام تقلب الى ياء وكاف ، والراء ٣-تقلب الى ياء وغين وذال.

ثانيا- معاني الكلمات:

١- **اللثغة:** العدول في النطق من مخرج الصوت الى مخرج صوت آخر لعلة في اللسان.

ثالثا- الإعراب:

١- **فاللُّثغة ... تكون:** اللثغة ، مبتدأ مرفوع بالضمة ، وتكون: جملة فعلية في محل رفع خبر.

٢- **صاحبها يجعل القاف طاءً:** صاحب اسم إنّ وهو مضاف والهاء مضاف إليه. يجعل جملة فعلية في محل رفع خبر لإنّ. القافَ مفعول به أول لـ (يجعل) ، طاءً مفعول به ثان لـ (يجعل).

٣- **فإن مِن أهلها مَنْ:** من أهلها ، من أهل: جار ومجرور وهو مضاف والهاء مضاف إليه وشبه الجملة في محل رفع خبر لإنّ. من: اسم موصول بمعنى الذي في محل نصب اسم إنّ.

٤- **واستبدَّت مَرَّةً واحدة:** مرةً مصدر نائب عن المفعول المطلق المحذوف لأن الأصل: واستبدت استبدادا مرة واحدة. واحدة صفة لمرة منصوبة بالفتحة.

٥-الأساليب والبلاغة:

١- قوله: فاللُّثغة التي تعرِض للسّين تكون ثاء، أسلوب تقريري تفصيلي لواقع حال اللثغة.

٢- أسلوب الشرط في قوله: فإذا أراد أن يقول: قلت له ، قال. وإذا هنا أداة شرط غير جازمة. وفي قوله: وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن. فأمّا شرطية اقترن جوابها بالفاء.

٣- أسلوب النفي في قوله: لا يستبدّ.

٤- أسلوب التمثيل بالمثال نحو قوله: كالذي عرض لعُمَر أخي هلال.

٥- التشبيه بالكاف بمعنى مثل، في قوله: كقولهم ، كالذي. أي مثل قولهم.

رابعا- التقطيع العروضي

١- قول الشاعر: واستبدَّت مَرَّةً واحدة إنما العاجزُ مَن لا يستبدّ

واستبدَّت / مَرَّةً وا / حدة إنما العا / جزُ مَن لا / يستبدّ

وَسْتَبَدَتْ / مَرْرَتَنْ وا / حِدَتَنْ إنْنَمَلْعَا / جِزُ مَنْ لَا / يَسْتَبِدّ

فَاعِلاتُنْ / فَاعِلاتُنْ / فَعِلُنْ فَاعِلاتُنْ / فَعِلَاتُنْ / فَاعِلُنْ

تامة / تامة / خبن وحذف تامة / مخبونة / حذف

الملاحظات على البيت:

١- البيت على بحر الرمل ، وتفعيلات الرمل ست (فاعلاتن) تكرر ثلاث مرات في كل شطر.

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

٢- الأصل في الرمل ألا يأتي تاما في العروض ، وإنما يأتي: فاعلن أو فعلن.

٣- البيت فيه زحاف الخبن: وهو حذف الثاني الساكن فتتحول (فاعلاتن) الى (فعلاتن) ، وفيه حذف: حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة فتتحول (فاعلاتن) الى (فاعلن). واذا اجتمع الخبن والحذف تتحول (فاعلاتن) الى (فعلن).

المحاضرة السابعة

عنوان المحاضرة: (عيوب النطق ، وتنافر الألفاظ)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

قال الأصمعيّ: إذا تتعتع اللسانُ في التاء فهو تمتام ، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء ،

قال أبو الزحف :

لست بفأفاء ولا تمتام ولا كثير الهُجر في الكلام

وقال أبو عبيدة: إذا أدخَلَ الرَّجلُ بعضَ كلامه في بعض فهو أَلفُّ ، وقيل بلسانه لَفَفٌ . وأنشدني لأبي الزَّحْف الراجز:

كأنّ فيه لَفَفاً إذا نطَقْ من طُولِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

ويقال: في لسانه حُبْسة ، إذا كان الكلام يثقُل عليه ولم يبلُغْ حدَّ الفأْفاء والتمتام . ويقال في لسانه عُقْلةٌ ، إذا تَعقَّل عليه الكلام . ويقال: في لسانه لكنَةٌ ، إذا أدخل بعض حروف العجَم في حروف العرب ، وجَذبت لسانَه العادةُ الأولى إلى المخرج الأوَّل . فإذا قالوا: في لسانهُ حكْلة فإنما يذهبون إلى نُقصان آلة المنطق ، وعَجْز أداة اللفظ ، حتى لا تُعْرَفَ معانيه إلا بالاستدلال ، وقال رؤبة بن العجاج:

لو أنّني أوتيتُ عِلْم الحُكَلِ عِلمَ سليمانَ كلامَ النملِ

ولكلِّ لغةٍ حروفٌ تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الرُّوم للسين واستعمال الجرامقة للعين . وقال الأصمعيّ: ليس للروم ضادٌّ ، ولا للفُرس ثاء ، ولا للسرُّيانيّ ذال . قال: ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافر ، وإن كان مجموعةً في بيت شعرٍ لم يستطع المنشدُ إنشادَها إلاّ ببعض الاستكراه.

فمن ذلك قول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكان قَفِر وليس قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ

أولاً– شرح النص:

يشير النص الذي أورده الجاحظ الى أمور عدة:

١– تعريف الأصمعي للتمتام والفأفأء: فالتمتام هو من يتعتع بحرف التاء فيردده مرات عدة

قبل أن ينطق به لصعوبة في النطق به. والفأفاء هو الذي يردد في حرف الفاء قبل نطقه.

٢- ويورد الجاحظ بيتا لأبي الزحف الذي يصف حاله في الحديث بأنه لا يعاني من آفة لسانية كالتمتمة والفأفأة ، ولا يكثر من الفحش والقبيح من الكلام فهو سليم منهما.

٣- ثم يذكر تعريف أبي عبيدة لمصطلح (أَلَف) بأن يخلط الرجل في كلامة ويدخل بعضه في بعض فلا يفهم منه المعنى المقصود ، وهذا من عيوب الفصاحة والابانة في الكلام.

٤- ويورد بيتا لأبي الزحف الراجز واصفا لرجل بأنه حين يتحدث فكأن لفا فيه ، وسبب ذلك اللفف لثقل لسانه وامتناع الكلام عليه مما يعانيه من الهموم والمصاعب في الحياة.

٥- ثم يذكر تعريفا للحبسة: بأنّها ثقل في اللسان لا يصل الى حد القأفأة والتمتمة لأنّه لا يتردد في الحروف وإنّما يصعب عليه القول لثقله عليه.

٦- ويورد تعريفا للعُقْلة: إذا احتبس على الرجل الكلام ولم يقدر عليه.

٧- ويورد تعريفا لِلَكْنة: وهي ادخال الحروف الأعجمية بالحروف العربية إذ يعرف الرجل من لكنته إن كان عربيا أو أعجميا لأن ما اعتاد على لفظه يفصح عن لسانه الأول، إلا إذا تمرس في اللغة الثانية واعتاد لسانها على النطق السليم بحروفها، فإنه يصعب معرفة لغته الأولى من لكنته.

٨- وويورد تعريفا للحكلة: وهي العُجْمة لا يبين صاحبها الكلامَ لأنه لا يجيد النطق ولا يستحضر الألفاظ لعدم معرفته بها فيعجز عن النطق السليم ، لذا لا يفهم منه شيء إلا بالاستدلال نحو الاشارة أو رؤية ما يفصح عن المعنى من مشاهد الحال.

٩- يستشهد الجاحظ بقول رؤبة بن العجاج الذي يتمنى لو أنه أوتي معرفة علم لغة النمل لكي يفهم معاني لغتها وما يدور في عالمها من أمور وأحداث.

١٠- ثم يورد كلاما يخص ما تنماز به كل لغة في الاستعمال ، فبعض اللغات لا تستعمل الضاد كما عند الروم ، وبعضها لا يستعمل الثاء كما عند الفرس ، وبعضها لا يستعمل الذال كما عند السريان. وهذا جار مجرى العرف في الاستعمال فكل لغة اعتادت على

أشياء في نطقها وامتنعت عنها أشياء لصعوبتها أو لعدم استعمالها في نظامها اللغوي والصوتي واستعاضت عنها بأصوات أخرى مركبة أو مفردة.

١١- ويشير الى ظاهرة التنافر في الحروف في سياق التركيب، إذ تأتي الحروف في نسق الجملة متنافرة وغير منسجمة؛ مما يولد كرها في النفس ونفورا من هذه التراكيب لصعوبة نطق الجملة أو البيت الشعري؛ إما لقرب مخارج الأصوات أو لبعدها، كما في البيت الذي يورده فمعناه بسيط يتمثل برجل اسمه حرب مات ودفن بمكان بعيد ليس فيه أحد ولا حتى قبر قريب منه، فهو وحيد في مكانه المدفون فيه. ولكن طريقة تركيب حروف ومفردات البيت معقدة وثقيلة على اللسان حين ينطقها بشكل مستمر دون توقف مما قد يولد تداخلا في نطقها وخلطا في حروفها. ويلحظ في البيت تكرار حرف القاف(خمس مرات)، والراء (سبع مرات) والباء(سبع مرات) وهذه الكثافة التكرارية قد تكون مربكة في عملية النطق.

ثانيا- المعنى اللغوي للمفردات

١- **التّمتام:** الذي يتعتع بحرف التاء فيردده مرات عدة حين النطق به لصعوبة النطق به.

٢- **والفأفاء** هو الذي يردد في حرف الفاء حين النطق به.

٣- **الهُجر:** الفحش والقبيح من الكلام.

٤- **ألف:** الذي يخلط في كلامة ويدخل بعضه في بعض.

٥- حُبْسة: صعوبة في الكلام مما يثقل على الرجل البوخ به بسهولة.

٦- **عُقْلة:** احتباس الكلام على الرجل فلا يقدر عليه.

٧- **لَكْنة:** تداخل في نطق الحروف الأعجمية والعربية لمن يروم التحدث بلغة أخرى غير لغته.

٨- **حُكْلة:** عجز في الأداة اللفظية المعبرة عن المعنى، وجهل بمنطق اللغة مما يعيق الفهم إلا بدليل اشاري أو حالي.

ثالثا- الأعراب

١- **قال أبو:** أبو ، فاعل مرفوع بالواو لأنّه من الأسماء الخمسة.

٢- **لست بفأفاء:** التاء في لست ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع اسم ليس. وبفأفاء: جار ومجرور شبه جملة في محل رفع خبر ليس.

٣- **وقيل بلسانه لفف: قيل:** فعل ماض مبني للمجهول على الفتح. لفف مبتدأ موخر. بلسانه: شبه الجملة جار ومجرور خبر مقدم. والأصل في الجملة وقيل لفف بلسانه. والجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع نائب فاعل للفعل قيل.

٤- **كأن فيه لففا:** لففا: اسم كأن مؤخر منصوب بالفتحة. وشبه الجملة فيه جار ومجرور في محل رفع خبر كأن مقدم.

٥- **لم يبلغْ حدَّ: يبلغْ:** فعل مضارع مجزوم بأداة الجزم لم علامته السكون. حدَّ: مفعول به منصوب بالفتحة.

٦- **لو أنّني أوتيت علمَ الحُكلِ:** لو: حرف امتناع لامتناع. ياء المتكلم في أنني اسم أن في محل نصب. والجملة الفعلية أوتيت علم في محل رفع خبر أنّ. أُوتيت: فعل ماض مبني للمجهول. والتاء: ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل ، علم: مفعول به.

٧- **علمَ سليمان:** علم: بدل أو عطف بيان على علم الأولى.

٨- **كلامَ النمل:** كلام:مفعول به للمصدر علم العامل فيه لأن المصدر أضيف فعمل.

٩- **وقبرُ حرب...بمكان:** وقبر: مبتدأ . والجار والمجرور بمكان شبه جملة في محل رفع خبر.

١٠- **وليس قربَ قبر ...قبر:** قرب: ظرف خبر ليس . وقبر خبرها. والأصل في الجملة وليس قبرٌ قربَ.

رابعا- الأساليب والبلاغة:

١- أُسلوب الشرط في قوله: إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام.

٢- النفي بـ(ليس) و (لا) في قوله: ولست بفأفاء...ولا كثير.

٣- أُسلوب النهي والجزم في قوله: ولم يبلغ حد...

٤- أُسلوب التقرير في قوله: ولكل لغة حروف....

٥- أُسلوب الاستثناء في قوله: لم يستطع إنشادها إلا ببعض الاستكراه.

٦- التشبية في قوله: كأن فيه لففا إذا نطق.

خامسا- الأعلام:

١- **الأصمعي:** عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الباهلي (١٢١ هـ- ٢١٦ هـ) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان.

مولده ووفاته في البصرة.. وكان الرشيد يسميه (شيطان الشعر). قال الأخفش: (ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعي). وقال أبو الطيب اللغوي: (كان أتقن القوم للغة، وأعلمهم بالشعر، وأحضرهم حفظاً).

٢- أبو عبيدة: معمر بن المثنى (١١٠هـ-٢٠٩هـ) أديب، لغوي، إخباري، ولد ومات بالبصرة . زار بغداد، ودرس على أبي عمرو بن العلاء و يونس بن حبيب، فصار أحد ثلاثة تعاصروا وتنافسوا: هو، وأبو زيد، والأصمعي .امتاز عنهما بمعرفة أيام العرب وأخبار الجاهليين. قال الجاحظ: (لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه).

٣- **أبو الزحف الراجز:** هو ابن عطاء بن الخطفي، ابن عم جرير الشاعر الأموي. وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس.

٤- **رؤبة بن العجاج** (٦٥ هـ/١٤٥ هـ): أبو محمد رؤبة بن العجاج-والعجاج لقب واسمه: أبو الشعثاء عبد الله-ابن رؤبة البصري التميمي السعدي؛ ولد في الجاهلية وقال الشعر فيها، ثم أدرك الإسلام وأسلم وعاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ. وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة. وكان بصيراً باللغة بحوشيها وغريبها.

ورؤبة-بضم الراء وسكون الهمزة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة-وهي في الأصل اسم لقطعة من الخشب يشعب بها الإناء، وجمعها رئاب، وباسمها سمي الراجز المذكور.

سادساً- التقطيع العروضي

١- **كأنّ فيه لَفَفاً إذا نطَقْ من طُولِ تحبيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ**

كأنْنَفي / هيلففن / إذا نطقْ مِنْ طُولِ تَحْ / بيسن وهَمْ / مِنْ وأرقْ

مُتَفْعِلُنْ / مُسْتَعِلُنْ / مُتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / مُسْتَعِلُنْ

o--o-- / o---o- / --o--o o--o--o- / o--o--o- / o---o-

مخبونة / مطوية / مخبونة مطوية / سالمة / مطوية

٢- وقبرُ حربٍ بمكانٍ قَفِرٍ وليس قُربَ قبْرِ حربٍ قبرُ

وَقَبْرُ حَرْ/ بِنْ بِمَكَاْ / نِنْقَفِرِنْ وَلَيْسَ قَرْ / بَقَبْرِ حَرْ / بِنْ قَبْرُوْ

مُتَفْعِلُنْ / مُسْتَعِلُنْ / مُسْتَعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ / مُتَفْعِلُنْ / مُسْتَفْعِلْ

o --o-/ -o--o-/ o---o- --o--o-- / --o--o / -o-o-o

مخبونة / مطوية / مطوية مخبونة / مخبون / مقطوعة

ملاحظات:

١- البيتان على بحر الرجز وتفعيلات الرجز هي (مستفعلن) تتكرر ثلاث مرات في كل شطر.

٢- هناك زحافات وعلل دخلت على البيتين وهي:

- الخبن: حذف الساكن الثاني فتصبح مستفعلن متفعلن.
- الطي: حذف الرابع الساكن فتصبح مستفعلن مستعلن.
- القطع: حذف النون وتسكين ما قبلها فتصبح مستفعلن مستفعل.

٣- أما بخصوص التفعيلة المطوية الثالثة في الشطر الأول من البيت الثاني (مستعلن) ففيها رأيان:

الأول- إذا أشبعت (نن قفر) تكون مطوية مستعلن.

الثاني- وإذا لم تشبع (ن قفر) صار فيها زحاف مركب من الخبن والطي فتصبح (مُتَعِلُنْ) وهو زحاف قبيح.

المحاضرة الثامنة

عنوان المحاضرة: (باب البيان)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

قال بعضُ جهابذة الألفاظِ ونُقَّادِ المعاني: المعاني القائمة في صدور النّاس المتصوَّرَة في أذهانهم ، والمتخلِّجة في نفوسهم ، والمتَّصِلة بخواطرهم ، والحادثة عن فِكَرهم ، مستورةٌ خفيّة ، وبعيدةٌ وحشية ، محجوبةٌ مكنونة ، وموجودةٌ في معنًى معدومةٍ ،لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه ، ولا حاجة أخيه وخليطِه ، ولا معنًى شريكِهِ والمعاونِ له على أموره ، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلاّ بغيره . وإنما يُحيي تلك المعانيَ ذكرُهم لها ، وإخبارُهم عنها ، واستعمالُهم إيّاها . وهذه الخصالُ هي التي تقرّبها من الفهم ، وتُجَلّيها للعقْل ، وتجعل الخفيَّ منها ظاهراً، والغائبَ شاهداً ، والبعيدَ قريباً . وهي التي تلخِّص الملتبِس ، وتحلُّ المنعقد ، وتجعل المهمَل مقيَّداً ، والمقيَّد مطلقاً ، والمجهولَ معروفاً ، والوحشيَّ مألوفاً ، والغُفْل موسوماً ، والموسومَ معلوماً . وعلى قَدر وُضوح الدَّلالة وصوابِ الإشارة ، وحسن الاختصار، ودِقّةِ المَدْخَل ، يكون إظهارُ المعنى. وكلّما كانت الدَّلالة أوضَحَ وأفْصَح ، وكانت الإشارةُ أبيَنَ وأنْوَر ، كان أنفَعَ وأنْجَع ، والدِّلالة الظاهرةُ على المعنى الخفيِّ هو البيانُ الذي سمِعْتَ الله عزّ وجلّ يمدحُه ، ويدعو إليه ويحثُّ عليه . بذلك نَطَقَ القُرآنُ ، وبذلك تفاخَرَت العَرب ، وتفاضَلَتْ أصنافُ العَجَم .

والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى ، وهتكَ الحِجَاب دونَ الضمير ، حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته ، ويَهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ ، ومن أيِّ جنسٍ كان الدّليل ؛ لأنّ مَدَارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجرِي القائل والسّامع ، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام ؛ فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى ، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع. ثم اعلم – حفِظَكَ الله – أنّ حُكْمَ المعاني خلافُ حُكمِ الألفاظ ؛ لأنْ المعانِيَ مبسوطةٌ إلى غير غاية ، وممتدّةٌ إلى غير نهاية ، وأسماءَ المعاني مقصورةٌ معدودة ، ومحصَّلةٌ محدودة .

أولاً- شرح النص:

يورد الجاحظ في هذا النص أمور عدة نجملها على النحو الآتي:

١- يقرر الجاحظ قول العلماء المبرزين بمعرفة الألفاظ والمعاني: بأن المعاني الكامنة في قلوب الناس وعقولهم التي تتحرك وتضطرب في داخلهم ، المرتبطة بخاطرهم ، والناتجة عن تفكرهم تكون على أحوال عدة:

- مستورة خفية: أي بعيدة عميقة غير متجلية تحتاج لتفكر وتخيل واحساس لظهورها.
- بعيدة وحشية: أي غريبة بعيدة عن الفصاحة والإبانة ينفر منها المستمع.
- محجوبة مكنونة: غير ظاهرة كامنة في أعماق النفس والفكر.
- موجودة في معنى معدومة: أي هذه المعاني تتجسد في معنى معلوم ومتداول، ولا توجد في معنى آخر لأنها لم توضع له ولم تكن محلا للتداول فيه.

٢- ثمّ يقرر الجاحظ قضية الإنجاز اللغوي للمعاني: أي تحول المعاني الى نص لغوي عن طريق اختيار الألفاظ المناسبة لها في التعبير لكي تتحول الى كلمات وجمل ونص؛ لأننا إذا لم نفعل ذلك تبقى المعاني حبيسة دواخلنا لا يعرفها أحد ولا يستطيع أن يطلع عليها لأنها مستورة في القلوب والعقول، ومادامت كذلك فلا سبيل لمعرفة الرجل لما يجري في ضمير صاحبه ولا أخية ولا المخالط له ولا المعاون له في شؤون حياته. وهذا يعني أن إحياء المعاني يتم عن طريق الكلام واللغة والإشارة إن كانت مُفْهمة ، فهما السبيل الوحيد لتجسيد المعاني؛ كي نفهم بما يشعر به الناس وبما يفكرون وبما يبدعون من أنواع العلوم والآداب.

وعن طريق الكلام واللغة والنصوص تتقرب المعاني ووتتكشف مقاصدها ومغزاها ، ويسهل على العقل فهمها بالتأمل والتفكر. ويصبح ما كان خفيا منها ظاهرا ، وما كان غائبا شاهدا بالاستدلال عليه ، وما كان بعيدا يغدو قريبا بالسياق والتفسير والعلاقات الرابطة بين المعاني. وهذا التجسيد اللغوي للمعاني يعمل كذلك على توضيح الملتبس من المعاني واختصاره ، وتحل عقدة ما كان منعقدا منها وصعبا ، وما كان مهملا متروكا منفلتا فتقيده كي يكون محددا متاحا للفهم ، وما كان مقيدا تجعله عاما مطلقا بالقرائن اللغوية كي تتسع دائرة ما يشتمل عليه ، وما كان مجهولا يمكن تعريفه وازاحة الغموض

والجهالة عنه بالشرح والتفسير، وما كان غريبا يمكن جعله مألوفا حين يحسن استعماله وتكييفه في دائرة التداول الكلامية بما يتناسب مع السياق اللغوي ، وما كان مجهولا بلا علامة تدل عليه يمكن وسمه بما يعرفه بما يجعله معروفا بعلامته الدالة عليه؛ كي يصبح هذا الموسوم معلوما لدى السامعين والقراء.

٣- ثم ينتقل الجاحظ الى تقرير شرائط إظهار المعنى وتبيانه، وهي:

- وضوح الدلالة: أي أن تكون الدلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا بعد عن المقصد الأساس من المعنى.
- صواب الإشارة: أي أن تكون الإشارة دالة ومطابقة وصحيحة في التعبير عن المعنى.
- وحسن الاختصار: أي الاختصار المستوفي لمجمل المعنى لا خلل فيه ولا ابهام.
- دقة المدخل: أي حسن الابتداء واختيار المدخل المناسب للتعبير عن المعنى.

لأنه بهذه الشرائط: من الوضوح الدلالي ، والابانة الإشارية يتحقق النفع والفائدة الكبيرة من المعنى. ولأنّه بتحقق هذه الشرائط يتم تعريف البيان كما ذكره الله تعالى في محكم آياته ومدحه وحثنا على معرفته واستعماله لأنه هو الذي جعل مزية للمتكلمين فتفاخروا به كالعرب الذين تكلموا بالبيان لفصاحتهم ، وبالبيان تعلم المفاضلة والأفضلية بين الأقوام الأخرى، وهذا التعريف يتجلى بالدلالة الظاهرة الموضحة لما خفي من معنى فاصبح مفهوما بعدما كان بعيدا صعب المنال.

٤- ثم يعرف البيان بعد أن كشف عن معناه وشرائطه فيقول عنه بأنه:

- اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى: أي كل ما يمكن استعماله من أدوات لغوية وفنية تساعدنا في الافصاح عن المعنى واضحا جليا مفهوما لا غموض فيه ولا لبس فهي تدخل في مفهوم البيان.
- وهتك الحجاب دون الضمير: أي إزاحة الستار عما هو كامن في الضمير فبدا واضحا جليا في التعبير اللغوي.
- حتّى يُفْضِيَ السّامعُ إلى حقيقته ويهجُم على محصولِهِ كائناً ما كان ذلك البيانُ:

أي حتى يتعرف السامع بسهولة على حقيقة المعنى ودلالاته بلا عوائق فهمية أو تركيبية مهما كان نوع ذلك البيان ، ونوع الدليل الذي يعتمد عليه في الاستدلال.

لأنّ الغاية الأساس من التواصل مع النصوص واستعمالها هو أن تكون مفهومة وواضحة ، وهذا يجعل عملية افهامها للمتلقين سهلة وميسرة. ولأنه بأية وسيلة توصلت بها لافهام الآخرين وكشفت لهم عن ستار المعنى فذلك هو تعريف البيان.

٥- وأخيراً يوضح الجاحظ رؤيته عن الألفاظ والمعاني وكيف يفهمها في ضوء عملية التوصيل اللغوي: فحكم المعاني من جهة المفهوم والاستعمال بخلاف حكم الألفاظ. فالمعاني كثيرة مستمرة بالتجدد والتعدد ولا نهاية لها، بينما الألفاظ المستعملة لها محدودة ومعدودة مقيدة بالاستعمال وعملية التداول في كل لغة.

ثانيا- المعنى اللغوي للمفردات:

١- **جهابذة:** جَهبَذ: اسم مفرد، والجمع : جهابذة. وهو الخبير بغوامض الأمور، الناقد العارف بتمييز الجيّد من الرديء، والخَبِيرُ النَّاقِدُ. وجهابذةُ الفكر: أعلامُه البارزون.

٢- **المتخلّجة:** مُتخلِّج : فاعل من تخلَّجَ. وتخلَّجَ الشيء: تحرّك واضطرب. ويُقال: تخالجته الهمومُ: تجاذبته وتنازعته.

٣- **الوَحْشِيُّ** : واحدُ الوَحْش. اللفظ الوحشي هو الغريب، وحسب ابن رشيق القيرواني هو ما نفر عنه السامع. كَلاَمٌ وَحْشِيٌّ : حُوشِيٌّ، بِهِ عُجْمَةٌ، لاَ بَلاَغَةَ فِيهِ.

٤- **الغُفْل:** غُفل: اسم. والجمع : أغفال. والغُفْلُ: مالا علامة فيه، لا سمة عليه. والغُفل من الشّعراء: المجهول.

٥- **أَنجَعَ:** فعل. نْجَعَ، يُنْجِعُ، مصدر إِنْجاعٌ. أَنْجَعَ الرَّجُلُ : فازَ في عَمَلِهِ، نَجَحَ في سَعْيِهِ، أَفْلَحَ. ونَجَعَ الشيءُ : نَفَعَ وظَهَرَ أثُره.

٦- **البيان:** بَيان: اسم. مصدر بان. والجمع: بيانات. ومعناه: الظهور والوضوح، والفصاحة التي هي: إبداء المقصود بلفظ حسن ومنطق فصيح معبّر. وتَحَدَّثَ بِبَيَانٍ بَلِيغٍ : بِفَصَاحَةٍ، بِبَلاَغَةٍ وَاضِحَةٍ. وعلم البَيان: (مبحث في البلاغة) علم يراد به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة من تشبيه واستعارة ومجاز وكناية. وبيان وبيّنة: دليل وحجّة، شرح وتوضيح ، ومن ادَّعى شيئًا فعليه البيان.

ثالثا- الأعراب:

١- **المعاني القائمة في صدور النّاس.... مستورةٌ خفيّة:** المعاني: مبتدأ ، مستورة خبر.

٢- **وإنما يُحيي تلك المعانيَ ذكرُهم لها:** إنّ: من الأحرف المشبهة بالفعل بطل عملها لدخول ما الكافة والمكفوفة عليها. يُحيي: فعل مضارع مرفوع بالضمة المقدرة على الياء للثقل. تلك: اسم إشارة مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. المعاني: بدل من اسم الإشارة منصوب بالفتحة. ذكرهم: ذكرُ: فاعل مرفوع بالضمة وهو مضاف والهاء: ضمير متصل في محل جر مضاف إليه.

٣- **وتجعل الخفيَّ منها ظاهراً:** تجعل: فعل مضارع ينصب مفعولين: الأول الخفي ، والثاني ظاهراً .

٤- **وعلى قَدر وُضوح الدَّلالة .... يكون إظهارُ المعنى:** على قدر: جار ومجرور شبه جملة في محل نصب خبر مقدم ليكون، وهو مضاف، وضوح: مضاف إليه. يكون: فعل مضارع ناقص مرفوع بالضمة. اظهار: اسم يكون مرفوع بالضمة وهو مضاف، المعنى: مضاف إليه.

٥- **والبيان اسمٌ جامعٌ لكلِّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى:** البيان: مبتدأ. اسم: خبر. جامع: صفة لاسم. كشفَ: فعل ماض مبني على الفتح والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. قناع: مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف، المعنى: مضاف إليه.

٦- **وكلّما كانت الدَّلالة أوضَحَ .... كان أنفَعَ وأنْجَع:** كلما: أداة مؤلفة من كلّ + ما.
وكلّ: منصوبة على الظرفية، ظرف زمان منصوب وهو مضاف، متعلق بالجواب المعنوي الذي هو وَجَدَ. وما: مصدرية ظرفية. والمصدر المؤول منها ومن الفعل بعدها في محل جرّ مضاف إليه. ولا يجوز تكرارها في الجملة.

٧- **فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ ..، فذلك هو البيانُ:** أيّ شرطية.

رابعاً- الأساليب والبلاغة:

١- المعاني القائمة في صدور النّاس: أسلوب تقريري لواقع حال المعاني.

٢- لا يعرف الإنسانُ ضميرَ صاحِبه: أسلوب النفي.

٣- وإنما يُحيي تلك المعانيَ ذكرُهم لها: أسلوب القصر والحصر.

٤- فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ ..، فذلك هو البيانُ: أسلوب فيه معنى الشرط.

المحاضرة التاسعة

عنوان المحاضرة: (أصناف الدلالات على المعاني)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

وجميعُ أصنافِ الدِلاَّلات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياءَ لا تنقُص ولا تَزيد: أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العَقْد ، ثم الخَطّ ، ثمَّ الحالُ التي تسمّى نِصْبةً .

والنِّصبة هي الحال الدّالةُ ، التي تقوم مقامَ تلك الأصنافِ ، ولا تقصِّرُ عن تلك الدَّلالات ، ولكلِّ واحدٍ من هذه الخمسة صورةٌ بائِنةٌ من صورة صاحبتها ، وحليةٌ مخالفةٌ لحِلْية أُختها ؛ وهي التي تكشِف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثمَّ عن حقائقها في التَّفسير، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خاصِّها وعامِّها ، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ ، وعمّا يكون منها لَغْواً بَهْرَجاً ، وساقطاً مُطَّرَحاً .

قد قلنا في الدَّلالة باللفظ . فأمّا الإشارة فباليد وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمَنْكِب ، إذا تباعَدَ الشخصان ، وبالثَّوب وبالسَّيف . وقد يتهدَّد رافعُ السَّيف والسَّوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً .

والإشارة واللّفظ شريكان ، ونِعْم العونُ هي له ، ونعم الترجمانُ هي عنه . وما أكثَرَ ما تنوب عن اللّفْظِ ، وما تُغني عن الخطِّ . وبعدُ فهل تَعدو الإشارةُ أن تكون ذاتَ صورةٍ معروفةٍ ، وحِلْية موصوفة ، على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها . وفي الإشارة بالطَّرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح ، مرفقٌ كبير ومَعُونة حاضرة ، في أُمورٍ يستُرها بعضُ النَّاسِ من بعض ، ويخفونها من الجليس وغيرِ الجليس ، ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم النَّاسُ معنًى خاصّ الخاصّ ، ولَجَهِلوا هذا الباب البتّة . ولولا أن تفسيرَ هذه الكلمة يَدخل في باب صناعة الكلام لفسَّرتها لكم . وقد قال الشاعر في دَلالات الإشارة:

وللقلب على القلب دليلٌ حينَ يلقاهُ

وفي النَّاسِ من الناس مقاييسُ وأشباهُ

وفي العينِ غنى للمر ءِ أنْ تنطقَ أفواهُ

هذا ومبلغُ الإشارة أبعَدُ من مبلغ الصَّوت . فهذا أيضاً باب تتقدَّم فيه الإشارةُ الصوتَ .

والصوتُ هو آلةُ اللَّفظِ ، والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع ، وبه يُوجَد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلاّ بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف . وحُسنُ الإشارة باليدِ ، والرأسِ مِن تمام حسن البيان باللسان .

أولاً- شرح النص:

يؤكد الجاحظ على أن التعبير عن المعاني يتم بخمس دلالات بعضها لفظي والآخر غير لفظي ، إذ قد يكون إشاري أو حالي أو حسابي:

أولها- اللفظ: وهو الأصوات المقطعة التي يخرجها جهاز النطق عند الإنسان لتشكل بترابطها وانسجامها كلمات وجمل ونصوص مفيدة دالة. ومن دون اللفظ لا يمكن اخراج ما في الداخل من مشاعر وأفكار؛ لأنه الآلة الموصلة لهما الى ساحة الوجود. وباللفظ نعرف أجناس الملفوظات سواء أكانت شعراً أم نثرا.

وثانيها- الإشارة: وهي التعبير عن المعنى بحركة اليدين أو العينين أو الحاجبين أو الكتفين أو حركة السيف والعصا التي قد تكون للتهديد والوعيد. والإشارة هي تعبير غير لساني تقوم مقام اللفظ وتنوب عنه في التعبير يفهمها الناس فيما بينهم لأنّ لها صورا مخصوصة تعارفوا عليها ، وهي تمثل معنى خاص الخاص لأنها معنى إشاري خفي فيه إيحاء لمضمون غير متجلي للناس لفظا ؛ لذا هي أبلغ من الصوت في التعبير ، وكلاهما إن أحسنا في توصيل المعنى فهما بيان مفهم. وتكون عامة حين يعرف معناها الجميع ، وتكون خاصة حين يتفق إثنان على معناها ويخفونها عن الآخرين كي يتواصلا بينهما بها من دون أن يكشف معناها أحد.

وقد أشار الجاحظ الى معناها بمثال شعري، فالقلب يكون دليلاً على القلب حين يلقى الحبيب حبيبه بعد انقطاع بينهما طويل ، إذ يشعر كلاهما بما في قلب صاحبه من عواطف ومشاعر وشوق من دون أن يتكلم. كذلك في الناس ما يمكن القياس عليه لتشابه أحوالهم وأحداثهم ، فالذي يسير على منوال صاحبه وكان ضارا لا شك أنه سوف يصيبه ما أصابه

لاستواء الحال ومطابقة المقال. والشيء نفسه ينطبق على العيون فهي معبرة عن المعنى من دون لفظ ويستطيع الإنسان أن يقرأ ما فيها من معان.

وثالثها: العقد ، وهو الحساب بالأرقام.

ورابعها- الخط: وهو الكتابة التي بها تكون النصوص والكتب.

وخامسها- الحال أو النصبة: وهي الحال الدالة على المعنى نحو الجبال والصحراء والبحار الدالة على عظم خلق الله وقدرته جلّ وعلا.

وهذه الدلالات الخمس مختلفة عن بعضها في التعبير من ناحية مفهومها وصورها ومعانيها. ووظيفتها الكشف عن حقيقة المعنى وكيفية تشكله ومقداره ونوعيته وعن كونه عاما أو خاصا مفيدا أو ضاراً.

ثانيا- الأعراب:

١- **وجميعُ أصنافِ .... خمسة أشياءَ:** جميعُ، مبتدأ . خمسة، خبر.

٢- **ولكلِّ واحدٍ .... صورةٌ بائِنةٌ:** لكلِّ ، جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم. صورةٌ، مبتدأ مؤخر. بائِنةٌ: صفة.

٣- **وعمّا يكون منها لَغْواً بَهْرَجاً:** عمّا، مكونة من (عن + ما الموصولة بمعنى الذي) واسم يكون ضمير مستتر تقديره هو. ولغواً، خبر يكون.

٤- **والإشارة واللّفظ شريكان:** الإشارة، مبتدأ. واللفظ معطوف عليه. شريكان، خبر مرفوع بالألف لأنه مثنى.

٥- **تباعَدَ الشخصان:** تباعَدَ، فعل ماض مبني على الفتح. الشخصان ، فاعل مرفوع بالألف لأنه مثنى.

٦- **ونِعْم العونُ هي :** نعم، فعل ماض جامد مبني على الفتح يفيد المدح. العون، فاعل مرفوع بالضمة ، والجملة الفعلية من الفعل والفاعل في محل رفع خبر مقدم. هي، ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ مؤخر.

٧- **ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم:** لولا، حرف امتناع لوجود فيه معنى الشرط. يتفاهمِ، فعل مضارع مجزوم بالسكون وحركت الميم بالكسر لالتقاء الساكنين.

٨- **وللقلب على القلب... دليلٌ:** للقلب، جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم. دليلٌ، مبتدأ مؤخر.

٩- **وفي النَّاسِ من الناس ...مقاييسُ:** في النَّاسِ، في النَّاسِ، جار ومجرور شبه جملة خبر مقدم. مقاييسُ، مبتدأ مؤخر مرفوع بتنوين الضم في أصله ورفع بالضمة لأنه ممنوع من الصرف.

١٠- **ولن تكون حركات اللسان لفظاً:** تكون، فعل مضارع منصوب بالفتحة ، حركاتُ، اسم يكون مرفوع بالضمة لأنه جمع مؤنث سالم. لفظا. خبر يكون منصوب.

رابعاً- الأساليب والبلاغة:

١- وجميعُ أصنافِ الدِلاَّلات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياءَ: أسلوب تقريري لواقع حال الدلالات على المعاني.

٢- لا تنقُص ولا تَزيد: أسلوب النفي ، وفيها أسلوب بلاغي هو الطباق بين (يزيد/ ينقص).

٣- السارّ والضارّ: تضاد معنوي.

٤- ونِعْم العونُ هي له: أسلوب المدح.

٥- ولولا الإشارةُ لم يَتفاهم النَّاسُ: أسلوب الشرط.

٦- ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف: أسلوب النفي بلا، والاستثناء بإلا.

خامسا- التقطيع العروضي:

وَلِلْقَلْـــــبِ / عَلَـــــى الْقَلْـــــبِ دَلِيْـــــلٌ حِـــــيْ/ نَ يَلْقَـــــاْهُو

– o – o – / – – o – o – – o – o – – / o – o – o – –

مَفَاْعِيْلُ / مَفَاْعِيْلُ مَفَاْعِيْلُنْ / مَفَاْعِيْلُنْ

مكفوفة / مكفوفة تامة / تامة

وَفَـــي النَّنَـــاْسِ / مِـــنَ النَّنَـــاْسِ مَقَـــــــاْيِيْسُ / وَأَشْـــــــبَاْهُو

– – o – o – / – – o – o – – – o – o – / – o – o – o

مَفَاْعِيْلُ	/	مَفَاْعِيْلُ	مَفَاْعِيْلُ	/	مَفَاْعِيْلُنْ
مكفوفة	/	مكفوفة	مكفوفة	/	تامة

وَفِـــي الْعَـــيْنِ / غِـــنَنْ لِلْمَـــرْ ءِ أنْ تَـــــنْطِ / قَ أفْوَاْهُـــــو

o – o –o – – / – o –o – – – – o – o –o – – / – – o – o – –

مَفَاْعِيْلُ	/	مَفَاْعِيْلُنْ	مَفَاْعِيْلُ	/	مَفَاْعِيْلُنْ
مكفوفة	/	تامة	مكفوفة	/	تامة

ملاحظات:

١- الأبيات الثلاثة على مجزوء بحر الهزج ، وتفعيلة الهزج هي (مفاعيلن) تتكرر مرتين في كل شطر. ولم يرد بحر الهزج تاماً ، وإنما ورد مجزوءا.

٢- دخل على تفعيلات الهزج زحاف الكف ، وهو حذف النون الساكنة من آخر (مفاعيلن) مع بقاء حركة ما قبلها ؛ لتصبح التفعيلة (مفاعيلُ).

المحاضرة العاشرة

عنوان المحاضرة: (تكملة أصناف الدلالات على المعاني)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

قد قُلْنا في الدّلالة بالإشارة . فأمّا الخطُّ ، فمما ذكَر اللهُ عزّ وجلّ في كتابه من فضيلة الخَطِّ والإنعامِ بمنافع الكتاب ، قولُه لنبيّه عليه السلام: " إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم " . وأقسم به في كتابه المُنْزَل على نبيّه المُرسَل حيث قال: " ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ "، ولذلك قالوا: القَلَمُ أحَدُ اللِّسانين . كما قالوا: قِلّة العِيال أَحَدُ اليَسارَين ، وقالوا: القلمُ أبقى أثراً ، واللسان أكثَرُ هَذَراً .

وقالوا: اللسان مقصورٌ على القريب الحاضر ، والقلمُ مطلقٌ في الشاهد والغائب ، وهو للغابِر الحائن ، مثلُه للقائم الرَّاهن . والكتاب يُقرَأ بكلِّ مكان ، ويُدرَس في كلِّ زمان ؛ واللسان لا يَعْدُو سامعَه ، ولا يتجاوزُه إلى غيره .

وأمّا القَول في العَقْد ، وهو الحسابُ دونَ اللَّفظ والخطّ ، فالدَّليلُ على فضيلته ، وعِظَم قَدر الانتفاع به ، قولُ الله عزَّ وجل: " فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيل سَكَناً والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسباناً ذَلِكَ تَقْديرُ العَزِيزِ العَلِيم " . وقال جلّ وتقدَّس: " الرَّحْمَنُ عَلّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإِنْسانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقمَرُ بحُسْبَانٍ " . وقال جلّ وعزَّ: " هُوَ الَّذِي جَعَل الشّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لتَعْلَمُوا عَدَدَ السّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ الله ذَلِكَ إلاّ بِالْحَقّ " . وقال: " وَجَعَلْنَا اللّيْلَ وَالنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحوْنَا آيَةَ اللّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهار مُبْصَرةً لتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبّكُمْ وَلِتَعْلمُوا عَدَدَ السِنِينَ وَالْحِسَابَ " .

والحسابُ يشتمل على معانٍ كثيرةٍ ومنافعَ جليلة ، ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الحِساب في الدنيا لمَا فهِمُوا عن الله عزّ وجلّ معنَى الحسابِ في الآخرة . وفي عدم اللَّفْظِ ، وفساد الخطّ ، والجهلِ بالعقد فَسادُ جُلِّ النِّعَم ، وفِقْدانُ جُمهور المنافع ، واختلالُ كلِّ ما جعله الله عزّ وجلَّ لنا قِواماً ، ومَصْلحةً ونِظاماً . وأما النِّصبة فهي الحالُ النَّاطقة بغير اللّفظ ، والمشِيرة بغير اليد . وذلك ظاهرٌ في خلْق السماوات والأرض ، وفي كلِّ صامتٍ وناطق ، وجامدٍ ونامٍ ، ومُقيم وظاعن ، وزائد وناقص . فالدَّلالة التي في المَوات الجامد ، كالدّلالة التي في الحيوان الناطق . فالصَّامتُ ناطق من جهة الدّلالة ،والعَجْماء مُعْرِبةٌ من جهة

البُرهان . ولذلك قال الأوَّل: " سَل الأرضَ فقُلْ: مَنْ شَقَّ أنهارَكِ ، وغَرَس أشجارَك ، وجَنَى ثِمارَك ؟ فإن لم تجبْكَ حِواراً ، أجابتك اعتبارا " .

أولاً- شرح النص:

١- يتابع الجاحظ شرح أصناف الدلالات على المعاني، وقد وصل الى (الخط) وهو الكتابة التي مدحها الله تعالى في القرآن الكريم في خطابه لنبيه – صلى الله عليه وسلم- بأن دعاه للقراءة والكتابة لأنهما أساس التواصل الإنساني ، ومن ثمّ ابلاغ الدعوة التي كلفه الله بها. ولشأن الكتابة وعظم أمرها في حياة الإنسان أقسم تعالى بها بالاشارة الى حرف من حروفها وهو(النون). ويستشهد الجاحظ بقول من قال عن القلم وهو أداة الكتابة والتدوين بأنه (أحد اللسانين) لأن هناك لساناً للكلام الشفهي ، والآخر يقيد الكلام بالكتابة لكي يحفظ. وقارن ذلك بمثال اجتماعي وهو أنّ قلة العيال تجلب الراحة والغنى لأن المسؤولية تكون أقل ممن كثر عياله وازدادت مشاق الحياة عليه. كذلك القلم يبقى أثره لأنه يدون الأشياء ويحفظها وهو أكثر دقة واتقانا وضبطا لأنه يكون بعد روية وتفكر. بعكس اللسان الذي يكثر كلامه فيكون منه الصحيح والسقيم والقليل والكثير لسهولة التلفظ به بخلاف الكتابة فهي شاقة ومتعبة لهذا تقل الأخطاء فيها. ويستشهد الجاحظ بأقوال تفاضل بين اللسان والقلم. فاللسان خاص بما هو حاضر ومشاهد ، والقلم عام يشتمل على الحاضر والغائب في التعبير الكتابي ، فقد يتناول الماضي والحاضر الآني على حد سواء. كذلك الكتاب متاح في كل مكان، إذ يمكن حمله وقراءته ، وتداوله بين الناس، أما اللسان فلا يملكه سوى صاحبه ، ولا يتجاوزه ويحتاج للحوار الى لسان آخر يحاوره.

٢- ثمّ ينتقل الى (العقد) الذي هو الحساب بخلاف اللفظ والخط ، واستشهد بآيات قرآنية تبين فضله وعلو شأنه ولا سيما أنه تعالى هو المقدر بحساب للمخلوقات من حركتها وتغيراتها وآجالها، فهو أحصى كل شيء وعده عداً وضبطه ضبطاً فهو الحليم العليم بكل شيء. وهو تعالى فعل كل ذلك مما يتعلق بظهور الكواكب وغيابها ليعلم الناس الحساب للسنين والأشهر وما يجري فيهما من تحول وتبدل. وهذه المعاني العديدة للحساب التي يترتب على الناس معرفتها لتسيير أمورهم في إطار نظام دقيق أحكم تعالى صنعه

وضبطه. وترك فضائل نعم الله تعالى نحو الخط واللفظ والعقد فيه اختلال كبير ومضرة بالغة للناس ؛ لأنهم لا يستطيعون فهم حكمة الله تعالى في خلقه وما أودعه في الأرض من قوانين وأحكام هي أولا وآخرا لتسهيل حياتهم ، وتسيير شؤونهم المعرفية والمعاشية.

٣- ثم ينتقل الى الدلالة الأخيرة وهي (النِصبة) التي يعرفها بالحال أو الشاهد الدال على معناه من غير نطق أو تلفظ ، والمشير الى حاله بلا إشارة بيد. ويتمثل ذلك بخلق الله العظيم نحو السماوات والأرض والجبال والبحار الجامدة ، وفي الصامت والناطق من الخلق ، والثابت والنامي ، والمقيم والراحل ، والكبير والصغير. كل أولئك يمكنه الدلالة على حاله ومعناه بلا تلفظ، وإنما بالتأمل فيه والتفكر تعرف ما يريد أن ينطق به بلا لسان. وسواء أكان الشيء جامدا أم ناطقا فالدلالة فيه حاصلة وتامة من ملاحظة حاله أو من جهة البرهان والتدليل والافتراض حتى وإن كان لا يفصح عن مكنونه بشكل سليم. فالأرض وما فيها من أنهار وزرع وثمار لا تجيب إن سئلت عن حالها ولكن لسان حالها يقول المعنى الدال على فائدة ما فيها للبشر.

ثانيا- معاني الكلمات:

١- **الخطُّ:** السَّطر.والكتابةُ ونحوها مما يُخَطُّ باليد. وما يختطُّه الإنسانُ لنفْسِه من الأَرض ونحوها، أو المكان المُخْتَطُّ للعمارة.والجمع: خطوط وأَخْطَاط.

٢- **اليَسار:** الغِنَى والثروةُ والسَّعةُ والرَّخاءُ. ، ومنه قوله تعالى: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ }. واليَسَارُ : السُّهولةُ أَو اليُسر. و اليَسَارُ خلافُ اليمين، وهو الجهة اليسرى.

٣- **للغابِر الحائن:** الغابر، اسم فاعل من غَبَرَ. الغَابِرُ: الماضي ، بعيد في الزمن. والحائن، القريب، اسم فاعل من حانَ. والجمع، حوائن. وحان الشيء: دنا وقرب.

٤- **العَقْد:** الحساب والعدد. من عَقِدَ ، وعَقِدَ الشيءُ : الْتَوَى كأَنَّ فيه عُقْدَةً. والعَقْدُ من الأَعداد: العشَرةُ والعشرون إِلى التسعين، والجمع : عُقُودٌ.

٥- **النِّصبة:** وهي الحال الدالة على معناها الباطني والظاهري بلا لسان ينطق.

٦- **ظاعن:** اسم فاعل من ظَعنَ. ظَعَنَ الْمُسافِرُ : سارَ، وارْتَحَلَ.

٧- **العَجْماء:** العَجَمُ : خلافُ العَرَبِ، الواحد: عَجَمِيٌّ، نَطَقَ بالعربية أو لم ينطِق. عجُمَ يَعجُم ، عُجْمةً ، فهو أعْجَمُ، وهي عجماءُ والجمع : عُجْمٌ. وعجُم الشَّخصُ: كانت في لسانه لُكنة وعدم إفصاح في الكلام.

٨- **البُرهان:** الجمع : بَراهينُ. البُرْهان : الحُجَّة البيِّنة الفاصلة.

ثالثاً- الإعراب:

١- **(اقْرَأْ)** فعل أمر فاعله مستتر، والجملة مؤكدة لسابقتها (وَ) الواو حالية (وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) (ربّك) مبتدأ و(الْأَكْرَمُ) خبره، والجملة حال.

٢- **"ن"** حرف لا محل له من الإعراب، "والقلم" مقسم به متعلق بـ أقسم مقدرا، "ما" موصول اسمي معطوف على "القلم" أي: والذي يسطرونه.

٣- **ولذلك قالوا:** القَلَمُ أحَدُ اللِّسانين: القلمُ، مبتدأ. أحدُ، خبره وهو مضاف ، اللسانيين، مضاف إليه مجرور. والجملة الأسمية من المبتدأ والخبر في محل نصب مفعول به لمقول القول.

٤- **وأمّا القَول في العَقْد:** أمّا:حرف شرط غير جازم يكون للتفصيل والتوكيد (يقوم مقام "مهما".

٥- **وقالوا: القلمُ أبقى أثراً:** القلم، مبتدأ. أبقى، اسم تفضليل خبر مرفوع بضمة مقدرة على الألف للتعذر. أثراً، تمييز منصوب بتنوين الفتح.

٦- **والكتاب يُقرَأ بكلِّ مكان:** الكتابُ مبتدأ ، يُقرأ، فعل مضارع مبني للمجهول ، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو(الكتاب) ، والجملة الفعلية من الفعل ونائب الفاعل في محل رفع خبر.

٧- **(فالق)** خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو ، وهو مضاف **(الإصباح)** مضاف إليه مجرور الواو عاطفة (جعل) فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو **(الليل)** مفعول به أول لجعل منصوب (سكنا) مفعول به ثان منصوب.

٨- **(ما)** حرف نفي (خلق) فعل ماض **(الله)** لفظ الجلالة فاعل مرفوع **(ذلك)** اسم اشارة مبنيّ في محلّ نصب مفعول به واللام للبعد والكاف للخطاب **(إلّا)** حرف للحصر **(بالحقّ)** جارّ ومجرور متعلّق بحال من لفظ الجلالة.

٩- **الواو** استئنافيّة **(جعلنا)** جعل ، فعل ماض، و(نا) ضمير متصل فاعل **(الليل)** مفعول به أوّل **(النهار)** معطوف على الليل بالواو منصوب **(آيتين)** مفعول به ثان منصوب وعلامة النصب الياء لأنه مثنى.

١٠- **ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الِحساب في الدنيا لمَا فهِمُوا:** لولا: حرف امتناع لوجود مبني على السكون لا محل له من الإعراب تفيد معنى الشرط.

١١- **وأمّا القَول في العَقْد:** أمّا: حرف شرط غير جازم يكون للتفصيل والتوكيد يقوم مقام "مهما" وجملة شرطها- أي جملة فعل الشرط، ولكن هذه النيابة في المعنى فقط، ولا تظهر في الإعراب.

رابعا- الأساليب والبلاغة:

١- اسلوب القسم في قوله تعالى: ((ن . وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)).

٢- الاقتباس من النصوص من القرآن الكريم وأقوال العلماء لتدعيم آرائه بالحجة البالغة والدليل القطعي.

٣- استعمال التشبيه بـ(مثل) في قوله: (وهو للغابِر الحائن ، مثلُه للقائم الرَّاهن). وبالكاف في قوله: (فالدَّلالة التي في المَوات الجامد ، كالدّلالة التي في الحيوان الناطق).

٤- أسلوب الشرط في قوله: (ولولا معرفةُ العِبَاد بمعنى الِحساب في الدنيا لمَا فهِمُوا).

٥- أسلوب الشرط بـ(إنْ)والنهي بـ (لم) في قوله: (فإن لم تجبْكَ حِواراً ، أجابتك اعتبارا).

٦- أسلوب الأمر في قوله تعالى: (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ).

٧- أسلوب التفضيل في قوله: وقالوا:(القلمُ أبقى أثراً).

المحاضرة الحادية عشرة

عنوان المحاضرة: (أقوال العلماء والحكماء في البلاغة ومعانيها)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر رحِمه الله:

(خبَّرني أبو الزُّبير كاتبُ محمَّدِ بن حَسَّان ، وحدّثني محمد بن أبان -ـ ولا أدري كاتب مَن كان قالا: قيل للفارسيّ: ما البلاغة ؟ قال: معرفة الفَصْل من الوصل. وقيل لليونانيّ : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام . وقيل للروميّ: ما البلاغة ؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغَزارة يَوْمَ الإطالة . وقيل للهنديّ: ما البلاغة ؟ قال: وضُوح الدّلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة.

وقال بعضُ أهل الهند: جِمَاع البلاغة البَصر بالحُجّة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ثم قال: ومن البصر بالحُجة والمعرفِة بمواضع الفُرصة ، أن تدَعَ الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاحُ أوعَرَ طريقةً . وربما كان الإضرابُ عنها صفحاً أبلَغَ في الدَّرَك ، وأحقَّ بالظَّفَر .

قال: وقال مَرَّةً: جِمَاع البلاغة التماس حُسن الموقع ، والمعرفةُ بساعات القول، وقلة الخَرَقِ بما التبَسَ من المعاني أو غَمُضَ ، وبما شَرَد عليك من اللّفْظُ أو تعذّر).

هذا هو النص الأول في التعريف بعلم البلاغة ، وسوف نشرحه انطلاقا من محاور عدة نجملها على النحو الآتي:

أ- المعنى العام للنص:

يروى هذا النص الذي تتمركز موضوعته حول مفهوم (البلاغة) وما تعنيه من معان عند أهل الصنعة وعند غيرهم من الأقوام الذين تميزوا بها – يروى من طريقين إخباريين كما يؤكد ذلك الجاحظ إذ أن الخبر وصله منهما (أبو الزبير ومحمد بن أبان) وتعدد الرواة للخبر الواحد يؤكد الخبر ويقويه ويعززه في نفوس متلقيه.

ثم بعد ذلك يتم الحديث عن معنى البلاغة عند سلسلة من العلماء والحكماء والمتكلمين بهذا الفن ،

(فالفارسي) جعل مفهوم البلاغة مقتصرا على معرفة الفصل والوصل أي أن القيمة البلاغية عنده تتمركز

في الكيفية التي تتم من خلالها ربط الجمل بحروف العطف (الوصل) أو ترك استعمالها لغاية بلاغية في كلتا الحالتين.

أما (اليوناني) فيرى أن البلاغة في اجتناب الخطأ في الاختيار الكلامي بحيث تكون الجمل سليمة وصحيحة ومنتقاة بدقة لتأدية المعنى البلاغي المؤثر.

أما (الرومي) فيرى البلاغة قائمة في الإيجاز الكلامي والبداهة في القول وعدم التصنع فضلا عن أن يكون المعنى عميقا وغزيرا إن طال القول حتى لا يتحول الى حشو ولغو.

أما (الهندي) فيرى البلاغة في كون الدلالة واضحة دون غموض أو تعقيد في اللفظ ، وكذلك في حسن اختيار الوقت المناسب للقول حتى يكون فاعلا ومؤثرا ، على أن تكون الإشارة الى الشيء سليمة من ناحية الاستعمال وأن تستعمل على نحو جمالي.

أما القول الآخر فهو لأهل الهند إذ يرون أن خلاصة البلاغة القدرة على البصر بالدليل ، وإدراك مواضع القول المناسبة ، ومن ذلك أن يدع المتكلم الافصاح أو التصريح بالقول إلى الكناية عنه لأنها أبلغ في التعبير عن مقاصد القول. هذا في حال إذا كان طريق الافصاح وعر ، أما إن كان طريقه غير ذلك فلا يعدل عنه الى الكناية لأنه الأولى بالتعبير وإدراك الغاية.

وهناك من يرى كذلك أن القول الفصل في البلاغة يكمن في التماس مواقع القول المناسبة ، كذلك معرفة الساعة المناسبة للكلام وتجنب الملتبس والغامض من المعاني ، وأن تكون الألفاظ المناسبة للقول حاضرة في الذهن وقت الاحتياج إليها. وجملة القول فإن معنى البلاغة ينحصر في الإيجاز ومناسبة القول واختيار الموضع وصحة التقسيم ودقة اختيار العبارة والسرعة في استحضارها حين الاحتياج إليها ، فضلا عن اجتناب الغامض والمعقد من الألفاظ.

ب- معاني الكلمات لغة وبلاغة:

١- **الفَصْل:** من فصل، يفصِّل، تفصيلاً.حاجز بين الشيئين.. فصل بينهما يفصل فصلاً فالفصل فصلت ألشيء فانفصل أي قطعه فانقطع. وفي البلاغة يعني الفصل: قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي.

٢- **الوصل:** من وصل يصل، صلة، وصلت الشيء وصلاً وصلة، والوصل ضد الهجران، الوصل خلاف الفصل، وصُل الشيء وبالشيء يَصِله وصلاً، وصِلَة وصَلَة وفي البلاغة يعني الوصل: ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي.

٣- **الاقتضاب- لغة** : القطع من قضبه يقضبه قضبا ، و اقتضب الحديث : انتزعه واقتطعه ، واقتضاب الكلام : ارتجاله. وفي البلاغة يعني: الاقتضاب: أخذُ القليل من الكثير، وأصله من قولهم: اقتضبت الغصن إذا قطعته من شجرته. وفيه معنى السرعة أيضاً، يقال: البلاغة إجادة في إسراع واقتصارٌ على كفاية.

٤- **البداهة:** البداهة في اللغة أول كل شيء وما يفجأ منه، تقول لحقه في بداهة جريه، أي في أول جريه . ويقال : هذا معلوم بداهة، أي يفهم ويدرك من دون حاجة إلى إعمال الروية والفكر.

٥- **ألإشارة** أشارَ إلى / أشارَ على يُشِير ، أشِرْ ، إشارةً ، فهو مُشير ، والمفعول مشار إليه. و الإشارةُ التلويح بشيء يفهم منه المراد: علامة أو رمز أو حركة للدّلالة على أمرٍ ما ، أجاب بإشارة من رأسه أو يده. وتشمل اشارات الخطر والمرور والإشارة النصية التي تتمثل بالمعنى المستنبط من النص ، الذي لم يرد النص من أجله ، ويسمى فحوى الخطاب.

٦- **الكِنَايَةُ** : تعبير أُريد به غيرُ معناه الذي وُضِع له من جواز إرادة المعنى الأصليّ؛ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته، وذلك لأغراض مختلفة منها الإيهام على السامعين أو نحو ذلك، وقد يكون عن صفة أو موصوف أو نسبة صفة لموصوف، نحو: الناطقون بالضاد: كناية عن العرب، أو المتكلِّمين بالعربيّة.

٧- **الدَّرَك:** الدَّرَكُ :اللحَاق، وقد أَدركه. و أسفل كل شيءٍ ذي عُمْق، كالبئر ونحوها، يقال: بلغ الغَواصُ درَكَ البحر. أدرك الشَّخصَ /أدرك ألشيء لحقه وبلغه وناله-: أدرك حاجتَه: قضاها.

ج- الإعراب:

١- **خبَّرنـي:** خبّر، فعل ماض مبني على الفتح. والفاعل ضمير مستتر تقديره هو. والنون للوقاية. والياء ضمير متصل مبني على الكسر في محل نصب مفعول به.

٢-**كاتبُ:** صفة أو بدل للفاعل (أبو الزبير) مرفوعة بالضمة.

٣-**معرفة:** خبر لمبتدأ محذوف تقديره (البلاغة معرفة) مرفوع بالضمة.

٤-**جِمَاع البلاغة.. البَصر:** مبتدأ مرفوع بالضمة. وهو مضاف (البلاغة) مضاف إليه مجرور بالكسرة. البصر: خبر مرفوع بالضمة.

٥- **ومن البَصر .. أن تدع: ومن البصر:** جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم مرفوع بالضمة. أن تدع: أن ، ناصبة مصدرية . تدع: فعل مضارع منصوب بالفتحة والمصدر المؤول من أن والفعل في محل رفع مبتدأ موخر.

٦-**الإفصاحُ .. أوعَرَ طريقةً:** الإفصاح اسم كان مرفوع بالضمة ، أوعَرَ: خبر كان منصوب بالفتحة. طريقةً: تمييز منصوب بالفتحة.

٧-**صفحاً:** مفعول مطلق منصوب نائب عن المصدر، والتقدير: وربما كان الإضراب عنها اضرابا صفحا. أو حال منصوب بالفتحة.أي إضراب حال كونه صفحا.

٨-**أبلغ** : خبر كان منصوب بالفتحة. وأحقَّ: معطوف على أبلغ خبر كان.

المحاضرة الثانية عشرة

عنوان المحاضرة: (صحيفة بهلة الهندي في معنى البلاغة عند أهل الهند)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر رحِمه الله:

قال معمَّر أبو الأشعث: قلت لبَهلْة الهنديّ: ما البلاغةُ عندَ الهند ، قال بَهْلة: عندنا في ذلك صحيفةٌ مكتوبة ... قال أبو الأشعث: فلقيتُ بتلك الصحيفة التَّراجمةَ فإذا فيها:
أوّل البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأْش ، ساكن الجوارح ، قليلَ اللّحْظ ، متخيَّر اللَّفْظ ، لا يكلِّم سَيِّدَ الأمَة بكلام الأمَة ولا الملوكَ بكلام السُّوقة ، ويكونَ في قُواه فضْلُ التصرُّف في كلِّ طبقة ، ولا يدقِّق المعاني كلَّ التدقيق ، ولا يُنقّحَ الألفاظ كل التنقيح ، ولا يُصَفّيهَا كلَّ التّصفية ، ولا يهذّبَها غاية التهذيب ، ولا يفعلَ ذلك حتى يصادِفَ حكيماً ، أو فيلسوفاً عليماً ، ومَن قد تعوَّد حذف فُضول الكلام ، وإسقاطَ مشتركاتِ الألفاظ ، وقد نَظَر في صناعة المنطق على جهة الصِّناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصفُّح ، وعلى وجه الاستطراف والتظَرُّف . قال: ومِن عِلْم حَقِّ المعنى أن يكون الاسمُ له طِبْقاً، وتلك الحالُ له وَفْقاً ، ويكون الاسم له لا فاضلاً ولا مفضولاً ، ولا مقصِّراً، ولا مشتركاً ، ولا مضمّناً ، ويكونَ مع ذلك ذاكراً لما عَقَدَ عليه أوَّلَ كلامه ، ويكونَ تصفُّحه لمَصادِرِه ، في وزن تصفُّحه لموارده ، ويكونَ لفْظُه مُونِقاً ، ولهَوْل تلك المقامات معاوِداً . ومدارُ الأمر على إفهام كلِّ قومٍ بمقدارِ طاقتهم ، والحملِ عليهم على أَقدار منازلهم ، وأن تُواتِيهَ آلاتُه ، وتتصرّفَ معه أداتُه ، ويكونَ في التُّهمَة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظنِّ بها مقتصداً ؛ فإنه إنْ تجاوَزَ مِقدارَ الحقِّ في التُّهمة لنفسه ظَلَمها ، فأودَعها ذِلّة المظلومين ، وإن تجاوَزَ الحقَّ في مقدار حُسْن الظنِّ بها ، آمنها فأودَعَها تهاوُنَ الآمنين . ولكل ذلك مقدارٌ من الشُّغْل ، ولكل شغْلٍ مقدارٌ من الوَهن ، ولكل وهَنٍ مقدارٌ من الجهل .

أولا / الشرح والتفسير:

يوضح لنا هذا النص المأخوذ من صحيفة ذكرها بهلة الهندي حين سئل عن معنى البلاغة عند أهل الهند ، ونقل أبو الأشعث ترجمتها التي تكشف أولا عن المراحل الأولى لامتلاك

البلاغة التي تتحقق من خلال اجتماع أدواتها وآلاتها في الخطيب التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

١- آلات نفسية ومعنوية تتعلق بالخطيب:

أي أن يكون الخطيب قوي النفس والقلب فلا يفزع أو يهرب أو يخاف قليل الحركة في أعضاء جسده وقليل الالتفات لأن كثرة الحركة تذهب الهيبة وتجعل المتكلم بلا رازانة أو وقار.

٢- آلات متعلقة بالقدرة على اختيار الألفاظ ومعانيها المناسبة فضلا عن مراعاة المقام حين الكلام :

أي أن يحسن اختيار اللفظ كي يكون مناسبا لمقام المتكلم، فلا يخاطب الملوك أو سادة الناس كما يخاطب الناس البسطاء، فهناك فرق في الفهم والمنزلة وعلى المتكلم مراعاتها؛ كي يكون الخطاب مناسبا لكل طبقة من الناس مع عدم التدقيق في المعاني والتعمق فيها ، ولا يدقق في الألفاظ وفصاحتها فيتعب المتلقي في معرفتها وفهمها لأنّ الأساس في العملية الكلامية مع المتلقين غير المختصين بصناعة الكلام هو الفهم والإفهام دون الغموض والتعمق في المعنى؛ مما يولد اللبس والتوهم. أما إن صادف الحكماء أو الفلاسفة ممن لا يحتمل الحشو في الكلام ويبحث عن الاختصار والكثافة في المعنى مع قلة اللفظ فهؤلاء لا بأس من مخاطبتهم بخطاب عالٍ مكثف لأن مقام التلقي هنا مناسب لتلقي فحوى الخطاب وفهم معناه.

٣- آلات تتعلق بصناعة المنطق :

ومعرفة المنطق للخطيب مهمة؛ لأنها تضبط فكره ومن ثم لسانه عن الخطأ ، وتعلم المنطق هنا يكون على وجه من التعلم الحرفي المتعمق فيه لا التعلم السطحي العرضي لأجل المعرفة العامة فحسب.

٤- ثم آلات تتعلق بجودة المعنى وموافقة الاسم للمسمى وصفا وحالا وموافقة آخر الكلام لأوله ومطابقة اللفظ المؤنق وأن يكون مستعدا لخوض أي مقام يوكل إليه في الكلام:

فلا بد ممن أراد تجويد الكلام أن يراعي مناسبة اللفظ للمعنى وللحال التي يقال فيها أي ظرف الخطاب الكلامي، وأن يكون اللفظ لا عاليا جدا ولا متدنيا في المقام ولا

مشتركا ولا مشتملا مع غيره في المعنى ؛ كي لا يقع اللبس في المعنى المراد. وكذلك الانتباه بالنسبة للمتكلم ان يكون كلامه مترابطا أوله وآخره متساويا في المصدر والمورد مع المحافظة على جودة اللفظ والقدرة على المعاودة في الكلام في أي مقام دون تردد مع المحافظة على فاعلية القول ومتانته وصحته.

٥- آلات معرفة نفسه والقصد من الكلام ومراعاة مقامات المتلقين:

الأساس من كل عملية للتواصل الكلامي بين المتكلمين هو الفهم والإفهام ومن دونهما تبطل أي عملية للتواصل لأنه لا يمكن استمرار تدفق الكلام والرسائل اللغوية من دون فهم المتلقي لمراد المتكلم، والفهم هنا متفاوت بحسب المعرفة والوعي، ولهذا يجب مراعاة مقامات المخاطبين لأن فهمهم متفاوت ومختلف من طبقة إلى أخرى. كذلك يكون الخطيب متمكنا من أداته اللغوية التي يفترض أن تكون نابعة من ذاته لا متكلفة ولا مستدعاة بل تكون كامنة فيه مطواعة بين يديه ولسانه متى ما احتاج إليها.

كذلك من حسن تمام مقدرة الخطيب النفسية والفكرية حسن الظن بنفسه، ومقدرته فلا يتعالى في رفع نفسه أكثر من حقها ولا ينزل بها الى ما لا تستحقه من منزلة بل يكون مقتصدا في تعامله مع نفسه حتى يعرف قدرها، ومقدرتها فلا يظلمها بمذلته لها، ولا يتهاون ويأمن جانبها دون مراعاة لها لأن لكل تعامل مع النفس شغل ومعرفة وجهد قد يوصل الى الضعف والوهن ومن ثم الجهل في نهاية المطاف إذا لم يحسن المرء طريقة معرفة نفسه وتجاهل ما هو مقدور له من امكانات ومعارف.

ثانياً / معاني الكلمات والمصطلحات:

١- **رابطَ الجأْش:** الجَأْش(اسم) والجمع جُؤوش: مصدر جَأْشٌ، والجَأْش: النفْس أَو القلب يُقال هو رابط الجأْش: ثَابتٌ عند الشدائد كناية عن هدوء النَّفس وثبات القلب.

٢- **الجوارح:** من جرح والجمع :جارِحات و جوارحُ. وجَوارِحُ الإنسان: أَعضاؤُه الجسدية كيديه ورجليه، ومشاعره.

٣- **اللّحْظ:** من لحَظَ ، والجمع لواحظ ، والمفعول مَلْحوظ. لحَظ فلانًا / لحَظ إلى فلان: نظر إليه بمؤخر العين عن يمين ويسار ، لحَظه بالعين: راقبه ودَّعه وظلَّ يلحظه بعينيه حتَّى بعُد واختفى.

٤- **السُّوقة:** السُّوقة الرَّعيَّةُ. و السُّوقة أوساطُ الناس.وتطلق على الواحد وغيره، والجمع سُوَقٌ. كلامٌ سُوقيّ :غير مهذّب، مبتذل. والسُّوقِيُّ : شخصٌ قليل التَّهذيب يتسكَّع في الشَّوارع.

٥- **التنقيح:** من نقَّحَ ينقّح ، تنقيحًا ، فهو مُنقِّح .ونَقَحَ النَّصَّ أو الكتاب: صَحَّحَهُ، هَذَّبَ عِبَارَاتِهِ، أَصْلَحَ مَا فِيهِ مِنْ أَخْطَاءٍ نَقَحَ أُسْلُوبَهُ.هذَّبه وأصلحه، أو قرأ مسوّدة طباعته وصحَّحها.

٦- **مشتركاتِ الألفاظ:** وهي من المشترك اللفظي أي اللَّفظ الواحد الذي يدلّ على أكثر من معنى كالعين فإنّها تُطلق على عين الماء والعين المبصرة وتطلق مجازًا على الجاسوس.

٧- **المنطق:** المَنْطِقُ :عِلْمٌ يَعْصِم الذِّهن من الخطإِ في الفكر. و عِلْمُ الْمَنْطِقِ : عِلْمٌ قَائِمٌ عَلَى قَوَانِينَ عَقْلِيَّةٍ تَقُودُ إِلَى أَحْكَامٍ صَائِبَةٍ وَتَجَنُّبِ الْخَطَإِ.

٨- **الاستطراف والتظَرُّف:** ظَرُفَ فلانٌ ظَرفًا، و ظَرَافَةً، فهو ظَرِيفٌ: كان كَيِّسًا حاذِقًا. وقيل: الظَّرْفُ في الوَجْه: الحُسْنُ، وفي القلب: الذكاءُ، وفي اللسان: البلاغة. ظَرُف الشَّخصُ: كان حسن العبارة، لطيفًا، فكِهًا.

٩- **طِبْقاً: طِبق** :اسم، ومعناه مِثْل، شِبْه نسخة طِبْق الأصل من الملفّ: كالأصل تمامًا، وطِبْقاً لِرَغْبَتِهِ : وَفْقاً، حَسَبَ رَغْبَتِهِ. وطِبْقًا له: بموجبه، بمقتضاه وفقًا وتبعًا له.

١٠- **وَفْقا:** مصدر وفِقَ .. وَفْقُ الشيء: ما لاءَمه قدْر الكفاية. وَفقًا لـ: تعني طبقًا أو بموجب أو بمقتضى.

١١- **الوهن:** وَهَنَ : فعل وهَنَ ، يهِن ، وَهْنًا ، فهو واهِن ، والمفعول موهون – للمتعدّي وهَن الشَّخصُ : ضعُف في الأمر أو العمل أو البدن. أَصَابَهُ الوَهْنُ:العَيَاءُ، والضُّعْفُ.

ثالثاً/ الإعراب:

١- **أولُ .. اجتماع:** أول ، مبتدأ مرفوع بالضمة. اجتماع، خبر مرفوع بالضمة.

٢- **أن يكون الخطيبُ رأبطَ: أنْ:** ناصبة مصدرية، يكونَ: مضارع ناقص منصوب بأن، والمصدر المؤول من أن والفعل يكون في محل رفع خبر ذلك. الخطيب: اسم يكون مرفوع بالضمة، ورابط خبر يكون منصوب بالفتحة.

٣- **ساكن – قليل- متخير:** كلها معطوفة على خبر يكون رابط منصوبة بالفتحة.

٤- **حتى يصادِفَ:** حتى، حرف جر. يصادف فعل مضارع منصوب بالفتحة بأن مضمرة وجوبا والجملة الفعلية في محل جر بحرف الجر حتى.

٥- **ومن قد تعود:** ومن معطوف على (حكيما –فيلسوفا) من: بمعنى الذي اسم موصول في محل نصب مفعول به.

٦- **وإسقاطَ مشتركاتِ:** واسقاط، معطوف على (حذف) مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف ، ومشتركات مضاف إليه مجرور بالكسرة.

٧- **وتلك الحالُ .. وَفْقاً: تلك:** اسم اشارة مبني في محل رفع اسم تكون. الحال: بدل من تلك مرفوع بالضمة. وفقا: خبر تكون منصوب بالفتحة.

٨- **ومدارُ الأمر على إفهام:** ومدار، مبتدأ مرفوع بالضمة وهو مضاف الأمر مضاف إليه. والخبر محذوف والتقدير: ومدار الأمر قائم أو كائن على إفهام.

٩- **أداتُه:** فاعل مرفوع بالضمة وهو مضاف والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر مضاف إليه.

١٠- **معتدلا... مقتصداً:** خبران ليكون منصوبان بالفتحة.

١١- **ولكل .. مقدارٌ:** اللام حرف جر، كل اسم مجرور بالكسرة وشبه الجملة من الجار والمجرور في محل رفع خبر مقدم. مقدار: مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة.

المحاضرة الثالثة عشرة

عنوان المحاضرة: (البلاغة واللفظ وأنماط الكلام وطبقات المتكلمين به)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر رحِمه الله:

قال ابنُ الأعرابيّ: قال معاوية بن أبي سفيان لصُحارِ بن عَيّاش العبديّ: ما هذه البلاغةُ التي فيكم ؟ قال: شيء تَجِيش به صدورُنا فتَقذفُه على ألسنتنا . فقال له رجل من عُرْض القَوم: يا أمير المؤمنين ، هؤلاء بالبُسْر والرُّطَب ، أبصرُ منهم بالخُطَب . فقال له صُحار: أجَلْ واللَّهِ ، إنّا لنَعلم إنّ الرّيح لَتُلْقِحُه ، وإن البَرد ليَعقِدُه ، وإن القمرَ ليَصْبِغُهُ ، وإن الحَرّ ليُنْضِجهُ .

وقال له معاوية: ماتعدُّون البلاَغَةَ فيكم ؟ قال: الإيجاز . قال له معاويةُ: وما الإيجاز ؟ قال صُحار: أن تُجيب فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . فقال له معاوية: أو كذلك تقول يا صُحَار ؟ قال صُحار: أقِلْني يا أمير المؤمنين ، ألا تُبْطِئ ولا تُخْطئ .

وكلامُ النّاس في طبقاتٍ كما أنّ الناسَ أنفسَهم في طبقات . فمن الكلام الجَزلُ والسَّخيف ، والمليحُ والحسن ، والقبيح والسَّمجُ ، والخفيفُ والثقيل ؛ وكلُّه عربيّ ، وبكُلٍّ قد تكلَّموا ، وبكلٍّ قد تَمَادَحوا وتعايبوا ، فإنْ زعم زاعمٌ أنه لم يكن في كلامهم تفاضُل ، ولا بينهم في ذلك تفاوُت ، فلِمَ ذكروا العِيَّ والبكَءَ ، والحَصِر والمُفحَمَ ، والخِطِل والمُسهَبَ ، والمتشدِّق ، والمتفيْهق ، والمِهمارَ ، والثّرثار ، والمكثار ، والهمَّار ، ولِمَ ذكروا الهُجرْ والهَذَرَ ، والهَذَيانَ ، والتَّخليط وقالوا: رَجلُ تِلقّاعَة ، وفلان يتلَهْيَع في خطبته . وقالوا: فلانٌ يُخطِئ في جوابه ، ويُحيل في كلامه ، ويناقِضُ في خَبَره . ولولا أنّ هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دونَ بعض لَمَا سَمَّى ذلك البعضُ البعضَ الآخَرَ بهذه الأسماء .

أولا- التفسير والشرح:

يمكن إجمال ما يتضمنه النص أعلاه بما يأتي:

١- استفهام معاوية من صحار العبدي عن سبب هذه البلاغة التي تميز بها قومه. فأجاب صحار بأن

منبع هذه البلاغة كامن في الصدور إذ تغلي وتضطرب بالمعاني التي تترجمها الألسنة الى ألفاظ بليغة مؤثرة وهذا مؤشر على قدرتهم وإجادتهم في التعبير عن مكنونات صدورهم.

٢- اعتراض رجل من الجالسين على توصيف صحار لبلاغتهم فأراد أن يحط من مقدرتهم بوصفهم أعرابا لا دراية لهم بالكلام وبلاغته وإنما هم بالرطب والتمر أعلم من الخطب.

٣- تفنيد صحار العبدي لمقالة هذا الرجل المعترض وإفحامه من خلال نص بلاغي من جنس ما قال الرجل حول (البسر والرطب) توفرت فيه عناصر البلاغة والفصاحة والإيجاز مما يؤكد على درايته ومعرفته ومقدرته البلاغية وبراعته التعبيرية في تصوير مراحل تشكل الرطب متأثرا بعناصر الطبيعة والمناخ(الريح= تلقحه / البرد= يعقده / القمر= يصبغه / الحر= ينضجه).

٤- ثم يأتي الاستفهام الثاني من معاوية لصحار العبدي حول معنى البلاغة عند هؤلاء القوم. فتكون الإجابة من صحار العبدي: البلاغة هي الإيجاز أي الاختصار في الكلام بلا حشو ولا إطالة. ثم لا يجد معاوية هذه الإجابة كافية بل يريد تعريفا للإيجاز هذه المرة. فتكون الإجابة بأن الإيجازه الإجابة بلا بطئ والقول بلا خطأ. يعني البلاغة = الإيجاز= سرعة الإجابة وصحة القول.

٥- ثم إن معاوية يجد في إجابة صحار إطالة فكأنه استغرب منها وصاحبها(صحار) من أهل البلاغة. فاستفهم منه أنْ يقول مثل ما قال من الإطالة في كلامه. فطلب صحار منه أن يعفيه ويسامحه، واستدرك ما فاته من الاختصار في القول فقال: ألا تُبْطِئ ولا تُخْطئ. لأن الإجابة والقول لا فائدة من ذكرهما وهما متقاربان في المعنى ومفهومان من سياق الكلام فكان حذفهما أولى للتأكيد على بلاغة القول والإيجاز فيه وهذا ما يبتغيه معاوية من سؤاله عن البلاغة ومعناها عند هؤلاء القوم.

٦- ثم يذكر الجاحظ طبقات الكلام وصفاته بعد أن ذكر طبقات الناس وطبيعة كلامهم. ويذكر صفات الكلام المتضادة(الجزل / السخيف ، المليح / الحسن ، القبيح / السمج ، الخفيف / الثقيل). ويذكر بأن الكلام بالرغم من كل هذه الأوصاف المتضادة والمتفاوتة من حيث القوة والمقبولية فهو كلام عربي تكلم به الناس مدحا وذما.

٧- فإذا زعم أحد من الناس بأنه لا يوجد تفاضل ولا تفاوت في الكلام العربي فيجاب عنه بأنهم ذكروا الصحيح من المتكلمين وذكروا السقيم منهم أو من به لثغة أو آفة لسانية أو عيب خَلْقي ، أو ثرثار كثير الكلام بلا فائدة أو كلامه فاحش قبيح مرذول لا قيمة له أو مضطرب في كلامه لا يعقل ما يقول. فكل ذلك يعيق إخراج الكلام على نحو معقول ومقبول ومن ثمّ يؤثر في التواصل وعملية الفهم بين المتكلمين. فلولا أن بين المتكلمين هذه الفروق في التعبير والإبانة والفصاحة الكلامية لما ذكروا هذه الأسماء الدالة على إجادتهم للقول من عدمها.

ثانياً- المعاني اللغوية للكلمات والمصطلحات:

١-**البُسْر**: تمر النخل قبل أن يُرْطِبَ. و البُسرُ الغضُّ الطريّ من كل شيء.

٢- **الإيجاز**: إيجاز :اسم ، مصدر أوجزَ، أَكْتُبُ بِإيجَازٍ : بِاقْتِضَابٍ، بِاخْتِصَارٍ. وهو في البلاغة: تضمين اللَّفظ القليل المعنى الكثير وعدم الإطالة، يقابله الإطناب وهو الإطالة.

٣- **أَقِلْني**: من أقالَ يُقيل ، أَقِلْ ، والمصدر: إقالةً.ومعناه العزل والترك والإعفاء والمسامحة والصفح.

٤- **الجَزلُ**: من جزل، والجَزْل من الكلام: القويّ الفصيح الجامع.

٥-**السَّمجُ**:من سَمُجَ. سمُج الشَّيءُ: قبُح. السَّمْجُ : اللَّبَن الخبيث الطَّعْمِ أو الرائحَةِ. ويماثله الرجل القبيح.

٦- **المتشــدِّق**: مــن الفعــل تَشَــدَّقَ:حَرّك شِــدقيه بكــلام يتفصّــح. يَــتَكَلَّمُ دُونَ احْتِــرَازٍ. والمُتَشَدِّقُ فِي كَلاَمِهِ : الفَاتِحُ فَاهُ وَالْمُتَبَجِّحُ فِي القَوْلِ.

٧-**المتفيْهِق** : اسم فاعل من تَفَيهَقَ. تَفَيْهَقَ في كلامه: توسَّع وتنطَّع: تأنق فيه .

٨- **المِهمــارَ - الهمَّــار**: مــن هَمَــرَ. المِهْمَــارُ : المهــذار.يقــال: هــو مِهمَــارٌ فــي كلامه، ومِهمارٌ لأَضيافه: كثير الكلام. والجمع : مَهامِيرُ. والهَمَّارُ : السَّحابُ السيَّال . رجلٌ همّارٌ :مِهْذارٌ كثير الكلام.

٩-**الهُجْر**: مصدر هجَرَ. الهُجْرُ : الهذَيانُ والقبيحُ من القول.

١٠- **الهَـذَيانَ:** مصدر هذَى. الهَذَيَانُ : اضطرابٌ عقليٌّ مؤقَّتٌ يتميز باختلاط أَحوال الوعي. هذَى الشَّخصُ: تكلَّم بكلام غير معقول لمرض أو غيره.

١١- **تِلقّاعَة:** من تِلِقَّاعُ: رجل ثرثار أحمق متبجح، متشدق كثير الكلام.

١٢- **يتلَهْيَع:** تَلَهْيَعَ في كلامه: أَفْرَطَ وأكثر.

ثالثا- الإعراب:

١- **ابنُ الأعرابيّ:** ابنُ ، فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، وهو مضاف. الأعرابيّ مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة.

٢-**ما هذه البلاغةُ التي:** ما اسم استفهام مبتدأ مبني على السكون في محل رفع. وهذه اسم إشارة خبر مبني على الكسر في محل رفع. البلاغةُ بدل من اسم الاشارة مرفوع وعلامة رفعه الضمة. التي اسم موصول صفة للبلاغة مبنية على السكون في محل رفع.

٣-**شيء:** خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي شيء) مرفوع بالضمة.

٤-**يا أميرَ المؤمنين:** يا حرف نداء مبنى على السكون لا محل له من الإعراب. أميرَ منادى منصوب بالفتحة وهو مضاف. المؤمنين مضاف إليه مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

٥-**إنّا لنَعلمُ** : إن من الأحرف المشبهة بالفعل. والضمير(نا) مبني على السكون في محل نصب اسم إن. لنَعلمُ اللام مؤكدة ، نعلم فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل(نحن) ضمير مستتر في محل رفع. والجملة الفعلية من الفعل والفاعل في محل رفع خبر إن.

٦-**أنفسَهم:** أنفسَ توكيد معنوي منصوب بالفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، والهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل جر بالإضافة والميم للجمع.

٧- **تفاضُل.. تفاوُت:** تفاضل اسم يكن مرفوع بالضمة. تفاوت معطوف على تفاضل مرفوع بالضمة.

المحاضرة الرابعة عشرة

عنوان المحاضرة: (صفة الشعر، وطبقات الشعراء، والتفاضل بينهم)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر رحِمه الله:

وفي بيوت الشِّعر الأمثال والأوابد ، ومنها الشَّواهد ، ومنها الشوارد . والشعراء عندهم أربع طبقات . فأوّلهم: الفحل الخنديذ . والخنذيذ هو التامّ . قال الأصمعي: قال رؤبة: " الفُحولة هم الرواة " ودون الفحل الخِنذيذِ الشَّاعرُ المُفْلِقُ ، ودونَ ذلك الشاعرُ فقط ، والرَّابع الشُّعْرُور . ولذلك قال الأوّل في هجاء بعض الشعراء:

يا رابعَ الشّعراءِ كيف هجوتني وزعمتَ أني مُفْحَمٌ لا أنطِقُ

فجعله سُكَّيتاً مُخلَّفاً ، ومسبوقاً مؤخَّراً .

وسمعتُ بعض العلماء يقول: طبقات الشّعراء ثلاث: شاعر ، وشوَيْعر ، وشُعْرُور .

قال: وسمعتُه يقول:" رأس الخَطابة الطبْع ، وعَمُودُها الدُّربة ، وجناحاها رواية الكلام ، وحَلْيُها الإعراب ، وبهاؤُها تَخيُّر الألفاظ . والمحبَّة مقرونةٌ بقلّة الاستكراه ".

وأنشدني بيتاً له في صفةِ خطباءِ إياد:

يَرمُون بالخُطب الطّوالِ وتارةً وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفةَ الرُّقَباءِ

فذكر المبسوطَ في موضعه ، والمحذوفَ في موضعه ، والموجَز ، والكنايةَ والوحْيَ باللَّحظِ ودَلالة الإشارة . وأنشدني له الثقة في كلمة له معروفة :

الجودُ أخْشَنُ مسّاً يا بني مَطَرٍ مِنْ أن تَبُزَّكُمُوه كَفُّ مستلِبِ

ما أعْلَمَ الناسَ أَنّ الجودَ مَدْفَعةٌ للذّمّ لكنَّه يأتِي على النَّشَبِ

أولاً- شرح النص:

١-أما ما يتعلق بالشعر ففي أبياته ما يكون مثلا أو داهية كالفرس الذي يقيد طريدته لسرعته أو يكون شواهد يستشهد بها على صحة شيء ما، أو نوادر لا مثيل لها.

٢-أما الشعراء فهم أربع طبقات: فالأول: الفحل الفصيح المتمكن البليغ كالرواة. والثاني: الشاعر المفلق الفصيح، ثم الثالث الشاعر أي الذي يقول الشعر ولكنّه دون الآخرين بالمقدرة والشاعرية. والرابع الشعرور الذي هو دون الجميع.

٣-البيت الشعري: (يا رابع الشعراء) استنكار من الشاعر على شعرور هجاه بأنّه ضعيف الحجة وينقطع صوته حين المناظرة. فهو يستنكر عليه كيف يهجوه وهو شعرور دون منزلته.

٤-أمّا الخطابة فأصلها قائم على الطبع والغريزة والبداهة، وعمودها التعلم والاكتساب، وجناحاها رواية الكلام، وجمالها في الإفصاح والإبانة وانتقاء الألفاظ المناسبة، وأنْ لا تكون مستكرهة كي تكون محببة للنفوس.

٥-قول الشاعر: (يرمون بالخطب) أي أنّ الخطب عندهم قسمان: خطب طويلة ، وخطب موجزة كأنّها التفاتة الذي يخاف الرقباء من ورائه فهو يعتمد على الإشارة والكناية والإيماءة لعدم الإطالة. أي أنّ تشكيل الخطبة يكون حسب السياق الذي يتطلبه المقام.

٦-في البيتين الآخرين: (الجود أحسن – ما أعلم الناس) التأكيد على أنّ الكرم صعب وليس سهلا وأنّ الكريم بالرغم من علمه أنّ الكرم سوف يأتي على رأس ماله ويفقره بسبب الإنفاق المستمر لكنّه لا يستطيع ترك عادته ، ولأنّه بكرمه يدفع ألسنة العائبين والذامين من الناس.

ثانياً- معاني الكلمات:

١- **والأوابد:** الوُحُوشُ الْمُقِيمَةُ، وتُطْلَقُ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ علَى الحَمِيرِ وَالبَقَرِ والظِّبَاءِ وَالوُعُولِ وَالنَّعَامِ والقَطَا. فَرَسٌ قَيْدُ الأَوابد: يقيَّد طريدته لسرعته، فلا تُفْلِت منه. كَانَتْ لِلْعَرَبِ أَوَابِدُ : وهي الدَّوَاهِي.

٢- **الشوارد:** جمع شارد، شَوَارِدُ اللُّغَةِ : غَرَائِبُهَا، نَوَادِرُهَا.قصيدة شارِدة :سائرة في البلاد.

٣- **الخنديذ:** الخِنْذِيذُ من الشعراء: الشاعر المجيد المُنقَّح. الخِنْذِيذُ: الخطيب البليغ المُفَوَّه.

٤- **تَبُزَّكُمُوه:** وأصلها من بَزَّ. بَزَّهُ في مَيْدانِهِ : غَلَبَهُ. يَبُزُّ أَمْوالَ النَّاسِ : يَأْخُذُها قَهْراً وَبِخَفاءٍ وَبِلا حَقٍّ

٥- **مستلب:** استلبَ يستلب ، استلابًا ، فهو مُستلِب. اِسْتَلَبَ مالَهُ : أَخَذَهُ مِنْهُ قَهْراً، اِخْتَلَسَهُ.

٦- **النَّشَبِ:** مصدر نَشِبَ. النَّشَبُ : المال. النَّشَبُ: العَقَار.

ثالثاً: الإعراب:

١-**يا رابعَ الشعراء:** ياء: حرف نداء. رابع: منادى منصوب بالفتحة وهو مضاف، الشعراء: مضاف إليه.

٢- **زعمتَ أني مفحم لا أنطق:** زعمت: فعل ماضي مبني على السكون، والتاء ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل. أني: أن، من الأحرف المشبهة بالفعل. والياء: اسمها ضمير متصل مبني في محل نصب ، ومفحم: خبرها مرفوع بالضمة. و جملة(أني مفحم لا أنطق) سدت مسد مفعولي زعمتَ.

٣-**وتارة – وحي – خيفة:** تارة: ظرف زمان منصوب بالفتحة. وحي: نائب عن المصدر والتقدير: يرمون رميا وحي ... خيفة: مفعول لأجله منصوب بالفتحة.

٤-**مساً – يا بني – كف:** مسا: تمييز منصوب بالفتحة. يا بني: الياء حرف نداء. بني منادي منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. كف: فاعل مرفوع بالضمة.

٥-**ما أعْلَمَ الناسَ:** ما، تعجبية مبتدأ. أعلم ، فعل ماض مبني على الفتح، الفاعل مستتر فيه وجوبا تقديره هو. مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة. والجملة الفعلية في محل رفع خبر.

رابعا- تقطيع الأبيات عروضياً:

١- **يا رابعَ الشّعراءِ كيف هجوتني وزعمتَ أني مُفْحَمٌ لا أنطِقُ**

يا رابعش / شعراء كي / فهجوتني وزعمت أن / ني مفحمن / لا أنطقو

0--0- 0-/ 0--0- 0- / 0--0--- 0--0==- / 0-0----/ 0-- 0- 0-

مُتْفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ / مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ / مُتْفَاعِلُنْ / مُتْفَاعِلُنْ

مضمرة / سالمة / سالمة سالمة / مضمرة / مضمرة

٢-**يَرمُونَ بالخُطَبِ الطّوالِ وتارةً وَحْيَ المَلاَحِظِ خِيفةَ الرُّقَباءِ**

يرمونبل / خطبططوا / ل وتارتن وحيلملا / حظخيفتر / رقبائي

/0 /0 //0 ///0// 0//0/// 0// 0/ 0/ ///0/0 0//0/// 0// 0/ 0/

مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلْ

مضمرة سالمة سالمة مضمرة سالمة مقطوع

البيتان (الأول والثاني) على البحر الكامل، وتفعيلة الكامل هي:

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ

والبيت دخل عليه زحاف الإضمار، وعلة القطع. والإضمار مستحب وهو تسكين الثاني المتحرك من التفعيلة. أما علة القطع فهي حذف آخر الوتد وتسكين ما قبله.

٣- الجودُ أخْشَنُ مسّاً يا بني مَطَرٍ مِنْ أن تَبُزَّكُمُوه كَفٌّ مستلِبِ

الجُودُأخْ / شَنُمَسْ / سن يا بني/ مطرن من أن تبزْ/ زَكُمُو/ هو كففمس / تَلِبِي

/0 /0 //0 /// 0// 0/ 0/ 0/// 0// 0/ 0/ 0/// 0// 0/ 0/ 0/// 0// 0/ 0/ 0///

مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

سالمة مخبونة سالمة مخبونة سالمة مخبونة سالمة مخبونة

٤- ما أعْلَمَ الناسَ أَنّ الجودَ مَدْفَعةٌ للذّمّ لكنَّه يأتِي على النَّشَبِ

ماأعلمنْ / ناس أنْ / نَلْجُودَمَدْ / فَعَتُنْ لِذْذَمْمِلَا / كِنْ نَهُوْ/ يَأتِيْعَلَنْ / نَشَبِي

/0 /0 //0 /// 0// 0/ 0/ 0//0/ 0// 0/ 0/ 0//0/ 0// 0/ 0/ 0//0/ 0// 0/ 0/ 0///

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ

سالمة سالمة سالمة مخبونة سالمة سالمة سالمة مخبونة

البيتان (الثالث والرابع) من البحر البسيط وتفعيلة البسيط هي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

وقد دخل على التفعيلة زحاف الخبن وهو حذف الثاني الساكن فتصبح فاعلن/ فعلن.

المحاضرة الخامسة عشرة

عنوان المحاضرة: (اللفظ والمعنى – الصفة والعلاقة والتلقي)

قال أبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ – رحِمه الله:

ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظُ معناه ؛ وأعرب عن فَحواه ، وكان لتلك الحال وَفْقاً ، ولذلك القدرِ لِفْقاً ، وخَرَج من سماجة الاستكراه ، وسلِم من فساد التكلف ، كان قميناً بِحُسن الموقع ، وبانتفاع المستمِع ، وأجدَرَ أن يمنع جانِبَه من تناوُل الطَّاعنين ، ويحميَ عِرضه من اعتراضِ العائبين ، وألاَّ تزالَ القلوبُ به معمورةً ، والصّدورُ مأهولة . ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه ، متخيَّراً من جنسه ، وكان سليماً من الفُضول ، بريئاً من التعقيد ، حُبِّب إلى النُّفوس ، واتَّصل بالأذهان ، والتحَمَ بالعقول ، وهشَّت إليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخفَّ على ألسُن الرُّواة ، وشاع في الآفاق ذِكرُه ، وعظُم في الناس خَطَره ، وصار ذلك مادَّةً للعالِم الرئيس، ورياضة للمتعلّم الريِّض .

أولا – شرح النص:

١– التأكيد على قدرة اللفظ على مشابهة معناه، والتعبير عن مغزاه، وموافقا للحال التي هو عليها ، ومطابقا للقدر الذي يصل إليه المعنى في الدلالة ، غير مستكره ولا متكلف. فإذا استوفى اللفظ شروط الموافقة لمعناه كان جديرا بموقعه في التركيب اللغوي، واستفاد المتلقي منه، وكان جديرا بأن يحمي نفسه من الطاعنين به ، ومن اعتراض العائبين له. وهو بهذا الوصف يجعل القلوب عامرة به ، والصدور مسكونة به.

٢– وإذا استوفى اللفظ شووط التعبير عن معناه، بأن كان كريما مختارا من جنسه وسليما من الزيادة بعيدا عن التعقيد، فإن النفوس تحبه، والأذهان تنسجم معه، والعقول تتصل به، والأسماع والقلوب تفرح له.

٣– وإذا كان اللفظ بهذه الصفات التعبيرية فإن الرواة يتناقلونه بسهولة، وينتشر في الآفاق، ويصبح له شأن عظيم بين الناس، وكان مادة تعليمية للعلماء، وللمتعلمين الذين لم يتمرسوا بعد في العلم.

ثانيا – معاني الكلمات:

١- **شاكلَ:** شاكلَ يشاكل ، مُشاكلةً ، شاكلَ فلانًا :شابهه، ماثله، والمُشاكلَةُ في البلاغة: أنْ يذكر
الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

٢- **أعربَ:** أعرب – إعرابا. أعرب عن رأيه : أوضحه. أعرب الكلام : بينه. أعرب : كان فصيحا
في العربية وإن لم يكن من العرب. أعرب الكلام : أتى به وفق قواعد اللغة.

٣- **فحواه:** فَحْوَى القَوْل: مضمونه ومَرْماهُ الذي يتَّجه إليه القائل، مفهوم، مضمون، معنى،مغزى، جوهر.

٤- **وَفْقاً: وَفْقُ الشيء:** ما لاءَمه قدْر الكفاية. وَفِقَ الأمرُ : كان صَوابًا مُوافِقًا للمراد.

٥- **لِفْقاً:** لَفِقَ الشيءَ: أَصَابه وأَخذه.

٦- **سماجة:** سَمُجَ الشيءُ، بالضم: قَبُحَ، يَسْمُجُ سَماجَةً إذا لم يكن فيه مَلاحَةٌ.

٧- **قميناً:** قَمِين : فاعل من قَمِنَ. القَمِينُ : الجدير بالشيءِ.

٨- **هشَّت:** هَشَّ ، هَشًّا وهَشاشةً. هَشَّ إلى المعروف: انشرح صدرُه فرحًا وسرورًا به، تبسّم وارتاح له

٩- **الـريّض:** الرِّيّضُ من الدوابِّ: حديث العهد بالرياضة، فهو لم يذلَّ بعدُ لِراكبه. وأمر رَيِّضٌ :لم يُحكَمْ تدبيرُهُ.

ثالثاً: الإعراب:

١- **ومتى شاكل ذلك اللفظُ:** متى: شرطية غير جازمة. شاكلَ: فعل ماض مبني على الفتح فعل الشرط. ذلك: اسم اشارة مبني على الفتح في محل رفع فاعل.اللفظ: بدل مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

٢- **وأعرب:** فعل ماض مبني على الفتح معطوف على شاكل.

٣- **وكان لتلك الحال وفقاً:** وكان، الواو حرف عطف. كان فعل ماض ناقص. واسمها اللفظ مرفوع بالضمة، وهومحذوف وتقديره: وكان اللفظ. لتلك ، اللام حرف جر، تلك،

اسم اشارة مبني على الفتح في محل جر بحرف الجر. وفقا، خبر كان منصوب بالفتحة.

٤- **لفقا**- قمينا: خبر كان منصوب بالفتحة.

٥- **العائبين**: مضاف إليه مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

٦- **متخيرا**- كريما: خبر كان منصوب بالفتحة.

٧- ، **حُبِّب** ، **واتَّصل**: فعل ماض مبني على الفتح جواب الشرط.

٨- **ذكره**: ذكر: فاعل مرفوع بالضمة، وهو مضاف والهاء مضاف إليه.

٩- **وصار ذلك مادَّةً**: الواو حرف عطف. صار: فعل ماض ناقص. ذلك: اسم اشارة مبني على الفتح في محل رفع اسم صار. مادة: خبر صار منصوب بالفتحة.

المحاضرة السادسة عشرة

عنوان المحاضرة: (الزهد في الدنيا ، والعمل لأجل الآخرة)

قال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

(أمّا بعدُ فإن الدنيا قد أدبَرَت وآذنت بوَداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطِّلاع . وإنّ المضمار اليومَ والسِّباقَ غداً . ألاَ وإنّكم في أيامِ أملٍ من ورائه أجل ، فمَن أخلَصَ في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرُرْهُ أمله ، ومن قصَّرَ في أيام أمَله قبل حضور أجَله ، فقد خسِر عملُه ، وضَرّه أملُه .ألاَ فاعمَلوا للهِ في الرَّغبة ، كما تعملون له في الرَّهبة . ألاَ وإنِّي لم أر كالجنّة نام طالبُها ، ولا كالنَّار نامَ هاربها . ألا وإنّه من لم ينفعْه الحقّ يضرّه الباطل ، ومن لم يستقم به الهُدَى يَجُرْ بِهِ الضّلال . ألاَ وإنّكم قد أُمرتم بالظَّعْن ، ودُلِلتُم على الزّاد ، وإنّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الأمل).

أولا – شرح النص:

تؤكد هذه الخطبة البليغة ، والموعظة الحسنة على جملة من الأمور البالغة الأهمية في حياة المسلم نجملها على النحو الآتي:

١- التأكيد والتحذير في آن واحد بأن الدنيا لا تبقى على حال وأنها ليست بدار قرار، وأنها مدبرة مودعة أهلها سواء بالموت أو بنهايتها الأكيدة حين ينتهي الاختبار للبشر. وأن الآخرة هي دار القرار، وأنها مقبلة ظاهرة لا محالة حين القيامة والمعاد الى رب العباد. وأن الاختبار في الدنيا، فمن نجح فيه فاز في السباق في الآخرة ونال رحمة ربه. فعلى الإنسان العاقل العامل أن يكون حذراً غير غافل ولا متأخر عن العمل بعد أن يدرك هذه الحقيقة في حال الدنيا والآخرة.

٢- وثم التأكيد كذلك على أأن الأمل في النجاة من العقاب الآخروي قائم ما دامت الروح تجري في العروق ، فلا تأمل بعفو الله بلا عمل ولا إخلاص فيه. فعلى الإنسان حتى ينجو أن يستعد لذلك اليوم بالإخلاص في عمله كي ينفعه ذلك العمل ولا يضره الأمل؛ لأنه عمل بمقتضى الحكمة من حقيقة هذا العمل ولم يغتر بطول الأمل. وعلى العكس من ذلك فمن قصّر في العمل ولم يفهم حقيقة حضور الأمل ولم يستغله خسر العمل

وضره الأمل لأنه لم يستغله للعمل الصالح وإنما استثمره في معصية ربّه جلّ وعلا – وغرته الحياة الدنيا ، وانشغل بتحقيق طموحاته الدنيوية المستقبلية ونسي الآخرة.

٣- وعلى الإنسان أنّ يكون صادقا في عمله مدركا لحقيقة أن الله تعالى مطلع عليه ظاهرا وباطنا ومستحق للعبادة في كل الأحوال، فلا يعبده في الرهبة حين يحتاج إليه في دفع مصائبه ويتركه أو ينساه في الرغبة حين يوسع عليه في الرزق فيغتر بما عنده ويتصور أنه لا يحتاج لأحد.

٤- ثم يؤكد الإمام علي- رضي الله عنه وأرضاه- على حقيقة مهمة وهو ذو النظر الثاقب والعقل الباهر في معرفة هذه الأحوال وتقلباتها وهي الانشغال بالدنيا واتباع الهوى والركض خلف الشهوات والغوص في الشبهات ، مما ينسيهم ذلك كله طلب الجنة. وناموا عن النار التي يهربون منها وكان حقيق عليهم أن يستيقضوا ويعملوا ليفوزا بالجنة ويتقوا النار، فكيف تطلب شيئا كالجنة وتنام عن طلبها، وكيف تهرب من شيء كالنار وتنام عن اتقائها؟. ولكن كما هو حال أكثر الناس يحبون الشيء ولا يعملوا له ويخافون من شيء ويهربوا منه دون أن يتقوه للنجاة منه.

٥- ثمّ يضع الإمام – رضوان الله عليه- معادلة عظيمة في كيفية معرفة النفع والضر في حياة الإنسان من خلال هذه المتضادات (الحق والضلال/ الهدى والضلال) فمن لم ينتفع بعمله في طلب الحق أضره الباطل واستحوذ عليه الشيطان وخرج عن حدود الاستقامة ، كما أنّ الذي لا يهتدي ولا يستقيم في عمله سقط في الظلمات وانجرف الى المعصية وضلّ عن سواء السبيل.

٦- ثمّ يقرر الإمام – رضوان الله عليه- حقيقة التكليف وحرصه الشديد على نجاة الانسان من عذاب الرحمن بأن يؤكد على أن الأساس في وجود الانسان أنه مأمور بإدراك حقيقة أنه راحل عن الدنيا، ولا بقاء لأحد سوى الله- تبارك وتعالى. ومع أن هذه الحقيقة قائمة إلا أنه تبارك وتعالى من خلال شريعته ودينه الحنيف قد أرشد الناس الى النجاة بالتقوى والعمل الصالح وهما خير زاد للانسان المؤمن. والخوف كل الخوف من أنْ يصرُّ الانسان على اتباع هواه ، بأن يكون عبدا لشهواته ورغائب نفسه وملذاتها التي لا تنتهي، وكذلك الخوف ممن يركنون الى أنفسهم ويعتمدون على ما في أيديهم

من أسباب المنعة والقوة وينسون الموت والآخرة ويتصورون أنّ الحياة طويلة ، وعلى الانسان أن ينشغل بتحقيق طموحاته وآماله المستقبلية فينشغلون بالمستقبل على أمل أن ينالوا طموحاتهم الدنيوية متناسين الآخرة وأحوالها وما يترتب على ذلك من تكاليف تركوها لصالح ارضاء أنفسهم وعقولهم القاصرة عن ادراك الحكمة من الخلق التي هي العبادة والعمل الصالح والاخلاص لربّ العباد جلّ وعلا.

ثانيا – معاني الكلمات:

١- **أَدْبَـرَ:** (فعل) أدبرَ يُدبر ، إِدْبارًا ، فهو مُدْبِر ، والمفعول مُدْبَر – للمتعدِّي. أدبر الشَّخصُ: مضى وذَهَبَ وَوَلَّى، عكس أقبل. أَدْبَرَتِ النُّجُومُ : غَابَتْ. أَدْبَرَ صَاحِبَهُ : جَعَلَهُ وَرَاءهُ.

٢- **إِيذَان:** (اسم) وإِيذَان : مصدر آذَنَ. آذنه الأمر/ آذنه بالأمر أعلمه وأخبره به.

٣- **أشرفت:** أشرفَ على، يُشرِف ، إشرافًا ، فهو مُشْرِف ، والمفعول مُشرَف – للمتعدِّي أَشْرَفَ الشيءُ: عَلاَ وارتفع. والشَّرَفُ : الموضع العالي يُشرف على ما حوله. وهو العلو والمجد.

٤- **باطِّلاع:** اِطَّلَعَ (فعل: خماسي لازم متعد بحرف). اِطَّلَعْتُ، أَطَّلِعُ، اِطَّلِعْ، مصدر اِطِّلاعٌ. :اطَّلع الأمرَ/ اطَّلع على الأمر تعرّف عليه، علم به. وهو من المعرفة والظهور والنظر للشيء إذا بدت علاماته وقربت ساعة تجلّيه.

٥- **المِضْمَارُ:** المكان تضمّرَ فيه الخيلُ أَو تتسابق. و المِضْمَارُ مدةُ تَضمير الخيل. والجمع : مَضاميرُ.

٦- **الظَّعْن:** ظعَنَ / ظعَنَ بـ يَظعَن ، ظَعْنًا وظَعَنًا وظُعونًا ، واسم الفاعل: ظاعِن ، والمفعول مظعون به وظعِينٌ به. وظَعَنَ الْمُسافِرُ : سارَ، اِرْتَحَلَ، والظَّعِينَةُ :المرأة في الهودج، وهو مقعد ذو قبّة يوضع على ظهر الجمل لتركب فيه النِّساء.

٧- **اتباع الهوى** : ما تحبّه النفس و تميل إليه.

٨- **طُولُ الأمل:** يؤمّل الانسان أن يعيش طويلا ، و يدفع عن افكاره الموت فلا يستعدّ له.

ثالثاً: الإعراب:

١- **أمّا** بعد: أمّا -حرف تفصيل مبني لا محل له من الإعراب، وهي شرطية غي رجازمة بعد: ظرف زمان مبني على الضم في محل نصب، لأنه مقطوع عن الإضافة- والتقدير :أما بعد قولي أو مهما يكن من شيء بعدُ ... وفعل الشرط محذوف والتقدير : مهما يكن من شيء بعدُ فكذا وجواب الشرط بعدها يجب اقترانه بالفاء.

٢- **قد:** تدخل على الفعل ماضياً ومضارعاً. فتكون مع الماضي حرف تحقيق وتأكيد كما هو الحال في (قد أدبَرَت) ومع المضارع تأتي في الغالب للتقليل ، وتأتي كذلك للتحقيق إذا دلّ على ذلك سياق الكلام والقرائن.

٣- **اليومَ:** ظرف زمان منصوب بالفتحة في محل رفع خبر إنّ.

٤- **أَلاَ:** تأتي على وجهين:

الأول: حرف استفتاح وتنبيه، وضابطها صحة الكلام بدونها كما هو الحال في ورودها في الخطبة. وتُكسر همزة [إنّ] بعدها، وتدخل على الجملة الاسمية والفعلية، نحو: [ألا إنهم هم السفهاء] (البقرة ٢/ ١٣) و[ألا ساء ما يَزِرُون] [١] (الأنعام ٦/٣١).

والثاني: العرض والتحضيض، وتختص بالأفعال، نحو: [ألا تحبون أن يغفر اللهُ لكم] (النور ٢٤/٢٢) و [ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانَهم] (التوبة ٩/١٣).

٥- **فمَن أخلَصَ في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضرُرْهُ أمله:**

فَمَنْ: الفاء عاطفة، من: شرطية جازمة مبتدأ. أخلَصَ: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره هو. فقد: الفاء رابطة لجواب الشرط، قد: حرف تحقيق. نفعه: نفع: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم ، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به. عمله: فاعل وهو مضاف والهاء مضاف إليه. والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر للمبتدأ من.

٦- **لم أرَ:** لم :حرف نفي وجزم وقلب مبنى على السكون لا محل له من الإعراب . أرَ: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمة حذف حرف العلة.

٧- **وإنّ أخوفَ ما أخاف عليكم اتّباعُ الهوى وطُولُ الأمل:**

إن: حرف مشبه بالفعل.أخوف: اسم إن منصوب. ما: اسم موصول بمعنى الذي ، وهي والجملة التي بعدها(أخاف عليكم) في محل جر بالإضافة: أخاف: فعل مضارع مرفوع،

والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره أنا. اتّباعُ: خبر إنّ مرفوع بالضمة. وطُولُ معطوف عليه وهو مضاف، الأمل: مضاف إليه.